روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

32

Looloo
www.looloolibrary.com

سين تربيع

مقـدمة

هل تريد أن تمتلك نشاط الحصان ؟.. أم رشاقة الغزال وحذر الذئب ؟.. أم لعلك تبحث عن قدرة البرغوث على القفز .. والحية على الاختباء .. وقدرة الصقر على التحليق ؟

ربما تريد كل هذه القدرات مجتمعة ..

ادخل معمل د./ فايز واختر ما تريد ..

لكن احذر .. دائمًا يجب أن تحذر من عواقب اختيارك ..

دارت أحداث الرواية سنة 1989م

رواية من الخيال العلمى

د. حسـام صـبرى

1 ـ محلات الملكة ..

محـلات « الملكة » تتميز بالفخامة غير العادية فهى من أكبر محـلات المجوهرات بالبـلد وسمعتها لمـن يتعاملون بالألماس والأحجار الكريمة معروفة .

ستجد فيها ما لن تجـده من المجوهرات النادرة فى أى مكان آخر ..

.. على الأرفف الفخمة تراصت التحف الصغيرة .. بطريقة احترافية ، فالفراغ بين المعروضات كبير .. ثمـة إضاءة خافتة مجهولة المصدر موجهة لكل خاتم على حده ؛ فالخاتم الواحد يقدر ثمنه بثروة لا بأس بها .. بخلاف محلات الذهب الشعبية التى تضع بفاترينة العرض بمساحة متر فى متر آلاف المعروضات ..

.. فى أحد الأركان جلست سيدة ترتدى الفراء ـ رغم عدم برودة الجو إلى هذا الحد .. والمدير بنفسه يعرض عليها أشكال الخواتم ..

عند مدخل المحل الزجاجى الأنيق حيث كتبت عبارة (ادفع) .. وعنـد موضع أقدامنا نرى حـذاء كلاسيكيًا لرجل يرتدى معطفًا

Looloo
www.looloolibrary.com

فخمًا فوق الحلة الرمادية ــ رغم عدم برودة الجو إلى هذا الحد ــ وفى خفة وسرعة ومن بين أقدام الرجل عبر كائن صغير لو دققنا النظر إليه لوجدناه أقرب شبهًا بفأر صغير ..

.. وكأنه جندى صاعقة محترف جعل الفأر يتلمس طريقه ويلتفت قبل أن يعبر بسرعة شديدة ويختفى خلف أحد الجدران ..

ثم يلتفت ويعبر بسرعة كى يختبئ تحت قدم الكرسى حيث تجلس السيدة الثرية .. ثم يلتفت ويتوجه فى خطوات مدروسة ناحية الفاترينة وبسهولة يتسلقها من الخلف عبر النتوءات العديدة .

وفى لحظة معينة حين يكون الرجل منحنيًا بشدة على الفاترينة ومنهمكا مع السيدة فى إظهار محاسن بضاعته ..

يمد الفأر رأسه داخل الفاترينة ويلتقط فى فمه خاتمًا واثنين وثلاثة وكأنها حبات فول سودانى وأخيرًا يمسك بسوار رقيق جدًا لكنه يكتظ بعشرات المنمنمات ذات البريق والألوان الخاطفة .. ثم يقف لحظة وكأنه يتأكد من إحكام أسنانه على غنيمته ثم يعود من نفس الطريق ..

وبعد لحظات حين يعيد الرجل الخاتم الذى لم يحز على إعجاب

السيدة كى يستبدله بآخر ... يكتشف أماكن خالية كانت المفقودات تحتلها منذ ثانية مضت ..

ينظر بحركة غريزية سريعة إلى الأرض فيجدها ملساء نظيفة تعكس صورة الواقفين عليها لشدة نظافتها ولنوع الرخام الفخم ..

ولو أنه فى هذه اللحظة نظر ناحية باب الخروج الذى يدور حول محور ثابت وبالتحديد عند موقع الأقدام لوجد شيئًا صغيرًا أشبه بالفأر يتسلل خارجًا بسرعة .. هاربًا بغنيمته ومختفيًا خلف أقدام صاحب الحذاء الكلاسيكى الذى ابتاع ما أراده ..

وهنا دوت صرخة المدير :

ــ قف مكانك .

واندفع رجال الأمن ممسكين بالرجل .. تاركين الباب الأنيق .. يدور حول محوره ..

Looloo
www.looloolibrary.com

2 ـ وانطلق الأمير يحارب ..

(وانطلق الأمير يحارب الوحوش فى شجاعة نادرة فيقطع رقبة هذا ويغمد السيف فى قلب ذاك .. وأخيرًا وصل إلى الغول .. الذى يحتفظ فى حقيبته المدرسية بالجوهرة الغالية ..

يجب أن يشغل الغول كى يتمكن من اقتناص الجوهرة ليقدمها مهرًا للأميرة الفاتنة بنت السلطان العظيم .. لكن المشكلة الكبيرة أن الغول يذاكر دروسه الآن وهو يضع حقيبة المدرسة أمامه على المكتب فكيف يصل .....)

فى فيلا (منيرة هانم) زوجة ابن صاحب أكبر محلات للمجوهرات بالبلد .. كانت مربية الأطفال تداعب الطفل الأكبر ذا الأربع سنوات .. تقلب صفحات القصة المصورة ـ غير ملتزمة بالأحداث المكتوبة ـ وتعبث بأصابعها فى شعر الطفل الصغير بينما عيناها تراقب الطفل النائم فى سرير هزاز من الخشب الأرز ...

حين لمحت شيئًا أسودًا يجرى بسرعة بجوار الحائط .. وحين لم تجد شيئًا عاودت اللعب مع الطفل لعلها خدعة نظر .. لكن

الظل الصغير ظهر مرة أخرى ثم اختفى تحت السرير قبل أن تحدده ..

لكنها لم تنتظر هذه المرة وإنما هبت واقفة ، حاملة الطفل الكبير وهرولت على سلم الفيلا الداخلى نازلة من حجرة الأطفال إلى بهو الفيلا الواسع ومنادية بصوت مذعور على منيرة هانم ...

وحين لم تعثر عليها خرجت إلى الحديقة مهرولة كى تستقبلها منيرة هانم التى سمعت النداء فاعتدلت واقفة بسرعة من الكرسى الصغير حتى كادت أن تتعثر وتقع فى حمام السباحة ..

ـ هل حدث شىء للصغير ؟.. تكلمى

فجاوبتها من بين أنفاسها المتلاحقة : هو بخير ... لكن .... يوجد .. هه ... هه ..

فأر فى الغرفة ....

ـ فأر ؟!!

صاحت بها منيرة هانم فى استنكار ..

وصعدت بسرعة وهى تصيح :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ وكيف تتركين الصغير مع فأر فى الحجرة ؟ هاه ؟

ــ إن وظيفتى رعاية الأطفال وليست قتل الفئران ..

طبعًا لم تنطق المربية بهذه الكلمات وإنما فكرت فيها بدون صوت ..

ثم دلفت منيرة هانم إلى الحجرة كى تسمع الخادمة صرخة قوية تهتز لها ويبكى على إثرها الطفل الكبير ..

وحين تدخل المربية بدورها ترى مشهدًا مخيفًا لكنها لا تطلق صرخة مثل سيدتها وإنما تنكمش ناحية الجدار وهى تحدق فى الطفل الصغير بخوف ..

فقــد كان الفأر واقفًا فوق صدر الطفل الصغير ورأسه تلامس رأس الطفــل وكأنه يقبله .. وتتحرك رأسه بسرعة حركة تدل على أنه يقرض بشراهة شيئًا ما ..

لكن رد فعل الأم كان مختلفًا .. إذ أسرعت ناحية الفأر وامتدت يدها العارية كى تقبض عليه وتنزعه فى شجاعة أم رأت فارًا يلتهم ابنها ..

لكن الفأر كانت حركته أسرع فانزلق فى خفة كى يختفى تحت السرير ..

ولم يعثروا عليه ..

حتى بعد أن جاءت شركة مكافحة الفئران والحشرات ..

لقد اختفى تمامًا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

3 ـ الحيوان الضخم ذو الشعر الأسود الكثيف ..

الحيوان الضخم ذو الشعر الأسود الكثيف يقف فى تحفز وتوتر عند مدخل البناية الفخم ..

.. جاموسة أو بقرة سوداء كبيرة .. تجلس عند مدخل الجراج الخاص بالبناية الفاخرة ..

هكذا اعتقد البواب ؛ فالإضاءة الخافتة لم تبين الشعر الكثيف ولا الذيل الطويل لذلك الحيوان كما أن التاريخ الثقافى الريفى لعم جابر جعله يظن أنها بقرة سوداء لا أكثر .. ربما اشتراها أحد البهوات من قاطنى البناية من أجل الأضحية ..

.. ليس من المعتاد أن تنقطع الكهرباء فى هذا الحى الراقى لكنها الآن مقطوعة وفى تلك البناية بالذات .. ولقد سمع البواب صوت ضجة كبيرة أقلقته من أحلى نومة فهب مسرعًا كى يفاجئه انقطاع الكهرباء وهذه البقرة ..

وفى جرأة فلاح يظن أنه يقترب من بقرة كبيرة .. اقترب .. وهو ينوى أن يسحبها إلى الحديقة الخلفية ..

.. تثاقلت أقدام عم جابر واتسعت عيناه وهى تدور باحثة على الأرض فى محاولة للتغلب على الإضاءة الخافتة كى يعثر على الحبل الذى يفترض أنه يربط هذه البقرة ..

الحيوان يقوم بحركات متوترة باستخدام الرأس والجزء الأعلى بينما بقيت أجزاء جسده الأخرى ساكنة تمامًا ..

لكن البواب حين اقترب أكثر بدأ القلق يدب إلى أعصابه .. لا بسبب التضاريس الغريبة للحيوان فقد كانت مختفية فى ظل الإضاءة الخافتة التى تصل عبر أعمدة الإنارة فى نهاية الشارع ..

لكن بسبب ذلك الصوت الذى يبعث فى الجلد قشعريرة مروحية ..

صوت أشبه بإزميل حاد يحتك فى الحائط الأسمنتى بانتظام وقوة ...

.. وفجأة توقف الصوت .. وكأن الحيوان قد أحس بوجود البواب لأول مرة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وتوقفت حركة الرأس المتوترة والتفت الحيوان فى هدوء وثقة لا تتناسب قط مع الحركة المتوترة التى كانت رأسه تقوم بها منذ لحظات ..

وعلى بعد خمسة أمتار تقريبًا استطاع البواب أن يميز البقرة .. التى لم تكن تحمل ملامح بقرة أبدًا ..

ولم تكن كذلك شبيهة بأى من الأنعام التى عرفها الرجل فى حياته ..

.. وبشجاعة الفلاح الذى يعتقد أن نظره أصبح ضعيفًا .. مصابًا بالعشى الليلى لا يميز البقرة جيدًا فى هذا الظلام .. واصل تقدمه .. ناحية الحيوان ثم توقف حين قام الحيوان بحركة متوترة سريعة أصبح بعدها مواجهًا للبواب بجسمه كله ..

كانت هذه الحركة وحدها كفيلة بإلقاء الرعب فى قلب (نابليون) لكنه وبشجاعة (القعقاع) لم يرجع خطوة واحدة إلى الخلف .. حيث أرجع ما يحدث أمامه إلى العشى الليلى ..

ربما بدأ القلق يتسرب إلى عقله إذ لم يعد ثمة فاصل بين البواب وذلك الحيوان سوى مترين أو أقل فى ذلك الجراج شبه المظلم ..

وحين التقت أعين البواب بتلك الأعين .. بدأ فى مراجعة نفسه ..

.. تذكر أعين البقرة الدائرية الواسعة التى لا تحدق فيك أبدًا وإنما تتحاشى النظر إليك وكأنها تعلن كونها مسخرة لك من قبل الخالق عز وجل .. وقارنها بهذه الأعين اللامعة فشعر بالخوف لأول مرة ، لكنه تغلب على خوفه بطريقة الإقناع الفورى للذات ببساطة حين قال محدثًا نفسه بصوت قوى مسموع :

ــ جميل .. بعد هذا العمر أخاف من بقرة ..

ثم أجبر وجهه على الابتسام وواصل تقدمه نحو الحيوان الذى تراجع أكثر فى الظلام فلم يعد يظهر منه سوى حدود جسمه الخارجية وذيل طويل غليظ يمتد على الأرض ..

هل خاف الحيوان من شجاعة الرجل غير المتوقعة ؟!

أم إنه يجتذب الرجل إلى مكان أكثر ظلمة وهدوءًا ؟!

لو دققنا النظر داخل الجراج فى هذا الظلام وعلى الضوء الخافت الذى يصل بالكاد والآتى من مصباح الشارع ..

Looloo
www.looloolibrary.com

لوجدنا إحدى السيارات مقلوبة تمامًا ، وأخرى شبه محطمة وثالثة تخرج بخارًا ساخنًا على وشك الانفجار ، وكأن حادث تصادم عنيفًا وقع فى هذا الجراج الصغير ..

ولو أدرنا رأسنا ناحية اليسار لوجدنا فجوة غير منتظمة فى الحائط بمساحة نصف متر مربع تقريبًا وبالنظر إلى أسفلها نجد الأجزاء الناقصة وقد تحولت إلى كوم من التراب ....

حين امتدت يد البواب كى تقبض على ذيل الحيوان الذى تعرقل فيه معتقدًا أنه الحبل المنشود ..

التفت الحيوان إليه بسرعة فى وضع غريب جدًا ..

فبخلاف الأسنان القاطعة الطويلة التى برزت من فمه وعليها لون أبيض يذكرنا بالتراب المتكوم أسفل الحائط ..

وبصرف النظر عن الرائحة النفاذة والسائل اللزج الذى غطى جسم الحيوان وشعر به البواب من مسكته .. كان ذلك الحيوان واقفًا ..

نعم واقفًا على أقدامه الخلفية ومحافظًا على توازنه فى وضع أشبه بحيوان الكونغو ..

أخـرج البواب عـود ثقاب وكأنه تذكر لأول مرة أنه مدخن وما إن أشعله حتى سقط من يده للرعشة القوية التى أصابته .. وانطلق هاربًا وهو يصيح :

ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

فقد كان ما رآه جديرًا بهذا الفزع ..

Looloo
www.looloolibrary.com

4 ـ شخص عظيم ..ـ

شخص عظيم البنيان متوسط العمر يحمل وجهه ملامح ناضجة قوية لكنها منهكة واحمرار غير عادى يطغى على لون بشرة وجهه وذراعيه المكشوفتين كأنه عائد من المصيف لتـــوه ، والإرهاق واضـــح فى طريقة مشيه .. لكنك رغم ذلك تستريح له بسهوله وتستطيع أن تصفه من نظرة عينيه فقط بالإصرار وشدة الذكاء .

يعبر الشارع الـــذى اصطفت فيـــه عربات الشرطة والمطافئ وعربة إسعاف واحدة لم تنقل أية ضحايا ..

يمر الشخص بعينيه بسرعة على المشهد ويبتسم كأنه سعيد لمشاهدة الدخان المتصاعد من الجراج ..

.. ثم واصل مشيته السريعة .. متوجهًا فى خطوات خفيفة نحو مدخل البناية التى احتشد عندها عدد غير قليل من الرجال ..

فى انفعال بسيط لا يتناسب مع الرعب الذى رآه البواب راح يقص على الضابط ما حدث له منذ ساعة واحدة حتى وصل إلى نقطة الانفجار .. فاستوقفه الضابط وهو يشير بيده قائلاً :

ـ مرة أخرى ماذا حدث بعد أن أشعلت عود الثقاب ؟

ـ رأيت شيئًا كبيرًا فى الظلام أثار فزعى فانطلقت هاربًا ..

ـ وما هذا الشىء ؟

ـ لا أعرف فأنا مريض بالعشى الليلى ..

ـ ومتى حدث الانفجار ؟

ـ بعد هروبى من الجراج مباشرة ..

اشترك ضابط آخر أقل فى الرتبة سائلاً :

ـ وكيف كنت بهذا القرب من الانفجار ولم يحدث لك شىء ؟

ـ لأنى قرأت آية الكرسى ..

أكمل الضابط الأكبر رتبة مشيرًا إلى البوابة ذاتها :

ـ ثم لأنه كان قد عبر هذا الدرع الضخم .. وفجأة صاح البواب :

ـ ها هو د/ فايز..

كان الشخص ذو الملامح الناضجة قد اقترب من التجمع فأشار إليه البواب صائحًا للمرة الثانية :

ـ ها هو الدكتور / فايز .. صاحب العمارة ..

والتفتت الأنظار كلها إليه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

5 ـ المكان والزمان ..

المكان والزمـــان : نفس البنـــاية الفخمـــة منـــذ ثلاثين عامًا أو يزيد ..

لو عدنا بالنظـــر إلى نفس المكان كمن يشـــغل شريط الفيديو سريعًا بالمعكوس حتى نقف حين يصل المؤشر إلى (-35) سالب خمس وثلاثين سنة ..

سنجد فيلاً عريقة تحيطها حديقة واسعة ..

والمكان شبه منعزل ..

فلا أنيس سوى الظلام وأفرع الأشجار السوداء وأصداء الكائنات الليلية على اختلاف أصحابها ودرجات أصواتها ..

والحارس ذو الجلباب يغط فى النوم ساندًا رأســـه إلى الفتحة الصغيرة فى السور السميك ..

أمامنا طريق ترابى يمتد من البوابة إلى مدخل الفيلا الكبير ..

أما فى الداخل وعلى مائدة العشاء سنجد (فايز) الذى لم يتجاوز عقده الأول ، وأبويه جالسين فى الضوء الخافت للشموع الطويلة

فقد كان انقطاع الكهرباء فى تلك الآونة أمرًا طبيعيًا .. يلوكون قطع اللحم ويدسون ملاعق الأرز فى أفواههم بطريقة ميكانيكية .. تشعرنا أنهم متوترون بسبب توتر الأب أو أنهم غير جائعين ..

الأب جالس على رأس المائدة والأم مع البنات على يمينه بينما اصطف الأبناء على يساره وكان فايز الأكبر سنًا وأقربهم إليـــه ..

الأب يتكلم فى شىء من الحدة دون أن يرفع رأسه عن أطباق الطعـــام :

ـ جهلة .. أقدم لهم فكرة مبدئية عن البحث فيرفضون الورقة البحثية ، معللين ذلـــك بأن البلد تحتـــاج إلى البقـــر والجاموس والخرفان وخلافه .. لا إلى القوارض ..

ثم يسكت هنيهة ويواصل ..

ـ أحدثهم عن تجارب التخصيب وأثر النبضات ..

ـ (الكهرونيمواستاتيكية) فى خصوبة الحيوانات ، فيجيبون : تقصد القوارض .. لا حاجة للبلد فيها ..

وهنا تشترك الزوجة فى الحوار بنظرة تعاطف صادقة وتقول :

www.looloolibrary.com

ـ لا تحـزن نفسك .. سـوف يدركون قيمتك إن عاجلاً أو آجلاً ..

هدأ قليلاً بعد هذا العزاء .. ثم إنه رفع رأسه ناظرًا إلى زوجته فى المواجهة وقائلاً بلهجة مريرة :

ـ إنهم لا يحترمون التخصص .. فى البلاد التى تقدر قيمة العلم أعرف أشخاصًا وصلوا إلى درجـة مـن التخصص بحيث لا يوجد مثلهم فى العالم كله

.. ثم لاحظ نظرة التساؤل فى عينى زوجته فشرح قائلاً :

ـ تخصّص الجراحة مثلاً .. هناك من يتخصص داخله فى جراحات القدم ثم يتخصص فى جزء معين من القدم يغذيه عصب معين ثم يزيد تخصصه حتى يصل لعضلة واحدة تتغذى بفرع من عصب صغير .. وهكذا ..

أما هنا فإذا لم أكن طبيبًا بيطريًا أربى وأعالج البقر فأنا لست بيطارًا ..

ثم سكت فجـأة كمن تذكر أمرًا هامًا ، فأشـار بالملعقة إلى (فايز) قائلاً :

ـ حذرتك مـن التسـلل إلى المعمـل .. ثمة فئران طليقة بسببك ..

صمت الأب وقد نوى أن يصنع للباب قفلاً محكمًا ..

لم تدافع الأم عن (فايز) فهـو أكبـر الأبناء والوحيد القادر على أن يصل للمقبض ويفتحه ..

وهنا يمر بسرعة فأر صغير أسفل المنضدة .. لكن لا يشعر به أحـد ..

Looloo
www.looloolibrary.com

6 ـ الفتى يتسلل ..

الفتى يتسـلل مرة أخـرى والابتسامة الخبيثة مرسومة على وجهه لكنها ممزوجة بالحذر والترقب ..

وحين اقترب من الباب فى أسفل السلم الذى يقودنا إلى ما تحت الأرض .. أخرج المفتاح ودخل ..

عارفًا طريقه وسط هذا الظلام والأشياء العديدة المتناثرة وفى بساطة مد يده إلى سلسلة مدلاة من السقف شبه ملاصقة للحائط وقام بشدها لأسفل فاشتعلت الأضواء فى المكان محدثة ضجيجًا لا بأس به ..

وبخطوات ثابتة توجه ناحية قفص الفئران وأدخل يده من خلال باب القفص الصغير حيث قبض على إحداها بيده العارية ، ثم قربه إلى فمه وراح يقبله كأنه عروسة صغيرة يلعب معها ، ثم وضعه فوق الميزان ..

سجل بدقة قراءة الميزان ثم أعاد الفأر لقفصه بعد أن وضع عليه علامة واضحة .. أخرج الفتى فأرًا آخر وربطه من أطرافه الأربعة مشدودًا إلى لوح خشبى صغير به أربعة مسامير بحيث تنكشف بطن الفأر بوضوح فى الوضع التشريحى الشهير ..

لكنه وبدلاً من أن يصنع بالمشرط فتحة طولية تمتد من عنق الفأر حتى الذيل بحيث يخرج أعضاءه الداخلية ويعبث بها كما فعل من قبل عدة مرات ..

بدلاً من ذلك فقـد قطع بالمشرط رقبـة الفأر فانفصلت الرأس تمامًا .. وهنا قلب اللوح الخشبى بحيث أصبحت أرجل الفأر الخلفية لأعلى بينما تنزف رقبته الدماء فى أنبوبة صغيرة أعدها (فايز) لذلك ..

ثم ترك الجسد الضئيل يصفى دماءه فى الأنبوبة والتفت إلى الرأس التى غرقت هى الأخرى فى الدماء فوضعها فى محلول ما ثم أخرجها نظيفة ..

وراح يشرح أجزاءها فى مهارة جَرَّاح كبير .. وحين وصل إلى جزء معين أسفل الجمجمة قام بشفط محتوياته بواسطة سحاحة ميكانيكية صغيرة ....

ثم وضع هذه المحتويات فى الدم الساخن الذى قام بتصفيته للتو ولم تنفصل مكوناته بعد ..

ثم قام بتسخين الأنبوبة لدرجة معينة وبسرعة وضع المادة الناتجة فى محقن صغير أفرغه عن آخره فى الفأر الآخر ..

www.looloolibrary.com

الذى ظل صامتًا طوال هذه العملية كأنه يشاهد فيلم رعب ..

وفجـأة :

ـ ماذا تفعل يا فايز ؟

التفت فايز بسرعة إلى أبيه .. وبدلاً من أن يتلعثم أو يحاول الهروب واختلاق الأعذار .. اندفع قائلاً فى حماس وهو ممسك بالفأر المذعور:

ـ لقد حقنت الفأر بالغدة النخامية لفأر آخر كى ينمو بطريقة غير طبيعية ..

ما رأيك يا أبى ؟

تتسع عينا الأب فى دهشة حقيقية ولا يعلق ...

7 ـ العلم ينمو بالاختزال ..

ـ العلم ينمـو بالاختزال .. فعلم النفس يختـزل إلى دراسة المخ فى (علم وظائف الأعضـاء) ، الذى يختـزل بدوره إلى (علم الكيمياء الحيوية) ، وهذا يختزل إلى (الكيمياء العضوية) ، ثم إلى (الكيمياء الفيزيائية)، ثم إلى (الفيزياء) ..

وعلم (الفيزياء) يختزل إلى (الرياضيات) ..

أى إن شعورك بالملل من محاضرتين الآن يمكن اختزاله إلى معادلة رياضية ..

والشـعور بالفرحة يمكن اختزاله كذلـك .. فلو بدأنا بمعادلة الملل وحورناها حتى نصل إلى معادلة فرحة فإن تحويل الملل إلى فرحة أمر سهل ..

وهكذا فـإن العلوم بأجمعها يمكن أن تتحـول جزئيًا إلى (الرياضيات) .. أعلى مظاهر التجريد العقلى .....

قالها د/ فايز وهو واقف على منصة قاعة المحاضرات الكبيرة وعينه تتفحص الجالسين فى محاولة لاستشفاف مدى فهمهم أو حتى تصديقهم لنظرياته ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم تابع :

ـ ليكن .. بإمكانكم نسيان هـذا الكـلام فهـو غير مقرر .. ولنتركزوا الآن ..

ثم استدار كى يخط بضعة كلمات وهو يهمهم بعبارات اعتراضية لم يسمعها سوى الطلبة القريبين :

ـ نظريات مقررة بلغة أجنبية كى يحفظوها ويسردوها فى الامتحان أين التفاعل والإبداع؟!!.. إن حـال التعليم فى هـذا البلد ـ حقًا ـ مثير للرثاء ..

ثم راح يشرح محاضرته بلغة عربية صحيحة مخالفًا بذلك لغة الدراسة المقررة .. لكن الطلبة كانوا محبين بحق لهذا الرجل ولطريقته ولغته فى الشرح مدركين أنه يتجاوز حدود الأساتذة الآخرين إلى درجة العلماء.. بل كبار العلماء ..

وهنا همس (سامى) لزميله :

ـ سمعت أن د/ فايز لخص كتاب (كابنسون) ثلاث مرات حين كان طالبًا فى السنة الأولى..

ـ ماذا ؟!! أنا لا أقوى على حمل هذا المرجع الضخم معى للمنزل ..

ـ يقولون أيضًا إنه يمتلك فى بيته معملاً كاملاً ..

أكد صاحب (سامى) قوله بأن واصل :

ـ وأنه يحتـوى مـن الأسرار العلميـة ما يسيل له لعاب مؤسسات البحث العلمى والهيئات العلميـة العالمية .. لكنه لا يخرج أسراره إلا بالقدر الذى يضمن عـدم استخدامها فى ما يضر ..

ـ نعم .. نظرية الخوف من الديناميت .. لكنه بذلك سيدفن عشرات الأسرار لخوفه من أن تستخدم الاستخدام السيئ ..

ـ لا أدرى هل هذا صحيح أم لا .. لكنـه رغم كل شىء .. وجهة نظر ..

وهنا انتبها إلى الدكتور / فايز وهو يشير إليهما قائلاً فى صرامة : أنتما الاثنان .. انتظرانى ـ بعد المحاضرة ـ فى المكتب ..

Looloo
www.looloolibrary.com

8 ـ بدأ سامى ..ـ

بدأ سامى الحديث معتذرًا للدكتور فايز :

ـ لم نكن نقصد التشويش يا دكتور .. كنت فقط ..

قاطعه د/ فايز مبتسمًا :

ـ وأنا لم أحضركما هنـا كى أسمع أعـذار .. ولا لأنكما تهامستما مرة أثناء المحاضرة .. فلا مانع لدى من أن تطلب منديلاً ورقيًا من صديقك ...

وسكت لحظة نظر خلالها الشابان لبعضهما فى حيرة وترقب وعيناهما تتساءل عن سبب إحضارهما للمكتب ..

ـ إن لى نظـرة فى الطالب .. وأنـا أرى فيكما ذكاء غير قليل ..

.... وخصوصًا أنت ..

ومشيرًا إلى (سامى) .. تابع :

ـ ميزت ذلك من أسئلتك الجريئة .. وأيضًا من .. شكل حذائك ..

ـ شكل حذائى ؟!!

كرر سامى الكلمات فى دهشة قابلها د/ فايز بهدوء قائلاً :

ـ لا تشغل بالك إنها دعابة قديمة ..

ثم إنه أعطى لسامى ورقة صغيرة بها بضع معادلات ..

وأدار شاشة الحاسب الآلى ناحيته آمرًا :

ـ اكتب هذا على الحاسوب ..

فنظر لها (سامى) لوهلة ثم رفع رأسه مواجهًا د/ فايز وقال فى ثقة :

ـ أستطيع التعامل معها بورقة و.. انتظر بدون ورقة وقلم .. ستكون النتيجة ..

وقبل أن يكمل واجهه د/ فايز بنفاذ صبر :

ـ لا أختبر ذكاءك يا بني .. أقول لك فقط .. اكتب هذا على شاشة الكمبيوتر .. واضح ؟؟

وهنـا خط (سامى) المعادلة بسرعة على الشاشة من خلال بضع نقرات سريعة على لوحة المفاتيح ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ابتسم د/ فايز ابتسامة خفيفة .. وقال :

ــ لا بأس .. يمكننا الاعتماد عليك ..

.. أما أنت فتعال ..

وأشار إلى المنضدة الخشبية متوسطة الحجم بجانب المكتب الكبير والتى اعتلتها أكوام كبيرة من الكتب والمجلات العلمية والأوراق وحقيبة د./فايز نفسه الجلدية المكتظة دائمًا ... قائلاً :

ــ احمل هذه وضعها هناك .. دون أن يقع منها شيء ..

فأقبل الشاب وفى هدوء قبض على جانبى المنضدة ثم رفعها ببطء وكأنه يختبر وزنها بحمولتها ثم تحرك خطوة صغيرة بطيئة وكأنه يتأكد من توازن الكتب والأوراق حتى لايقع شيء ..

ثم خطا بضع خطوات حيث وضعها كما أمر د./ فايز تمامًا ..

وهنا اتسعت ابتسامة د/ فايز وقال :

ــ ممتــاز .. ستشكلان معى فريقًا رائعًا .. والآن أنا لا أملك الكثير من الوقت فهل تملكان ؟

ــ طبعًا نحن طوع أمرك يا دكتور ..

ــ إذن انتظرانى يــوم الخميس الســابعة مساء أمام المطعم الكبير ..

ــ ذلك المطعم الفخم عند ناصية الميدان ؟

ــ أجل ..

وفى لهجة مترددة سأل (سامى) :

ــ وإلى أين سنذهب ؟

ــ تريد أن تعرف المزيد من أسرار أستاذك .. أليس كذلك ؟

التمعــت عين سامى ببريق يغنى عن الإجابة فى حين أجاب صاحبه :

ــ طبعًا ..

ــ هذه فرصتك إذن ..

Looloo
www.looloolibrary.com

9 ـ الجلسة العائلية ..

الجلسة العائلية تنضح بالفرح والبهجة وكأننا فى العيد ..

سبب الاجتماع : عقيقة(*) من أجل بنت د/ فايز الجديدة ..

وإن كانوا غيـر محتاجين لسبب .. فالاجتماع يحدث أكثر من مرة فى الشهر ، غالبًا فى بيت الدكتـور / فايز الذى يعتبر كبير العائلة .

د/ فايز وإخوته وأزواج أخواته واثنان من الأبناء الشباب وآخر مراهق يعتبر نفسه رجلاً لا يجوز له الجلوس مع الأطفال ولا النساء فيجلس مع الرجال مضطرًا ...

بينما زوجة الدكتور / فايز وأخواته وبناته وزوجات إخوته فى حجرة استقبال أخرى كبيرة ..

والأطفال من جميع الأسر يمرحون فى المكان دون قيد ..

يتداولون الألعاب والشطائر والحلوى ... لكن الكرة ممنوعة داخل الشقة ..

(*) العقيقة : الذبيحة التى تذبح عن المولود يوم سبوعه عند حلق شعره .

يضحك الدكتور / فايز مداعبًا زوج أخته البدين :

ـ متى ستكف عن جمع المال يا (نسيبى) العزيز ؟

يضحك الرجل ويكاد يوقع قطعة الجاتوه الكبيرة على السجادة .. ويقول :

ـ عندما تكف أنت عن المذاكرة ..

تتعالى الضحكات ونسمع تعليقًا آخر :

ـ إنها ليست مذاكرة وإنما بحث علمى يا عمى ..

يعلق فى شىء من الجدية وإن لم تفارقه ابتسامته د/ فايز قائلاً :

ـ أنا لا أكره مصطلح (المذاكرة) كما يفعل الجميع

فالذكاء هـو مـدى قدرتك على الاستذكار أو التذكر أى قـوة الذاكرة وهو أصل كلمة مذاكرة ..

ـ لكن إيجـاد العلاقات وإبداع أشـياء جديدة .. هذه أشياء ليست لها علاقة بالمذاكرة ..

ـ خطأ أن المبدع فى مجـال ما .. يمتلك ذاكـرة ممتازة فى

Looloo
www.looloolibrary.com

مجاله .. فعالم الكيمياء سيتذكر المعادلة الضخمة التى تكتب فى عدة صفحات من نظرة واحدة ..

ــ لكن الأديب أو الشاعر لن يتذكر بالضرورة .. أية قصيدة يسمعها لمجرد أنه بارع فى الشعر ..

ــ معك حق .. لكنه كذلك سيكون أفضل الناس تذوقًا لها وأقدرهم على إعادة معانيها وشرحها من الذاكرة بغض النظر عن استخدام التعبيرات ذاتها ..

ــ لكنى لا أرى أى إبداع فى مذاكرتنا ..

نطق أحد الشباب العبارة وكأنه يشتكى الدهر .. فجاوبه الدكتور / فايز:

معك حق يا (عبد الله) .. إن طريقة التعليم فى بلادنا تحتاج لثورة شاملة ..

ــ لكن هذا لا ينفى دور العبقرية .. أنت مثلاً يا د/ فايز عبقرى ..

تكلم د/ فايز متجاهلاً وصفه بالعبقرى وكأن هذا أمر مفروغ منه فقال :

ــ لا ننكر دور العبقرية وامتلاك البعض قدرات خاصة فى مجال ما لكنى أومن أن الآخرين أيضًا يمتلكون قدرات خاصة فى مجال آخر لم يعرفوه .. أو أنهم أراحوا عقلهم وآثروا الانضمام للقطيع ..

ــ حقًا يا عمى هناك من اكتشف قدراته الخاصة فى مجال السرقة ..

واصل د/فايز مؤمنًا على كلام ابن أخيه ..:

ــ حتى اللص .. للأسف هو مبدع لكنه إبداع مهلك ..

ثم واجه زوج أخته قائلاً :

ــ لو أن لصًا سرق أحد فروع محلاتك ..

وهنا علت نبرة الرجل مقاطعا د/ فايز :

ــ لا أحد يستطيع أن يسرقنى ..

ــ أقول .. مثلاً ..

ــ وأنا أقول مستحيل .. إن محلات الملكة لم تتعرض منذ أن

Looloo
www.looloolibrary.com

أنشأها جدى (سليمان أغا) الذى قدم من إسطنبول محملاً بالتحف الثمينة .. لأى حادث سرقة ..

اشترك الشاب (المراهق) وقد بدا له الحديث ممتعًا :

ــ تقول قادم من إسطنبول محملاً بالتحف !!.. لقد درسنا عكس ذلك ..

وقال كأنه يسترجع وِرْدًا يحفظه :

ــ كان الأتراك يستقطبون العمال والصناع المهرة إلى تركيا لخدمة الأستانة ويحرمون البلاد منهم ..

وهنا تدخل أحدهم فى انفعال وهو أستاذ بقسم التاريخ :

ــ أكمل يا بنى ..

أكمل المعلومة .. ثم أعادوهم بعد مرور سنتين فقط .. وبالإجبار إلى بلادهم ..

كما حدث مع جدك

وأشار إلى الرجل البدين

ــ سليمان أغا ..

ــ ولماذا انفعلت هكذا ؟

ــ لأن الأتراك والدولة العثمانية عمومًا مظلومون فى مناهجنا ..

لقد كانت آخر خلافة إسلامية شملت رقعة عظيمة من العالم .. وكانت الشوكة العظيمة فى حلق الإنجليز ومن على شاكلتهم ..

ــ نعم أنا أعرف أن السلطان عبد الحميد رفض أى تفريط فى شبر من فلسطين ..

لقد كان رجلاً بحق ..

ــ ولأنهم يريدون محو فكرة الخلافة الإسلامية من عقول المسلمين .. فهم يتشدقون بالقوميات ..

ــ دعنا من الإنجليز ومخططات الاستعمار الآن .. وأخبرنى .. هل فعلاً لم يسرق متجرك منذ أن أنشأه جدك ؟

ــ تمت عدة محاولات لسرقته لكنها فشلت جميعها ..

إنه منيع ..

وهنا نظر له د/ فايز فى تحدٍّ طفولى قائلاً :

ــ أنا أستطيع ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ تستطيع ماذا؟

ـ أن أحضر لك من متجرك تشكيلة كبيرة من المجوهرات

ـ ستدفع مبلغًا كبيرًا ..

ـ لن أدفع مليمًا واحدًا ..

ـ تعنى أنك ستسرقها ؟!!.. هاه .. سأذبح خروفًا لو فعلت ..

ـ فى جميع الأحوال الدور سيأتى لك وستذبح خروفًا أما لو نجحت أنا .. فيجب أن تذبح لنا ناقة ..

ـ وأنا موافق .. جملاً كاملاً ..

ـ بل .. ناقة .. فلحمها أطرى وألذ ..

وتعالت الضحكات ..

10 ـ لكنها مصيبة ..

ـ لكنها مصيبة ياحضرة الضابط ..

إن قيمة الخاتم الواحد ..

ثم سكت وبدلاً من أن ينطق بالقيمة ضغط على أسنانه فى غيظ ثم تابع فى غضب :

ـ هذا بخلاف قيمة السوار.. آه يا أموالى الضائعة ..

جاوبه الضابط بنظرة شك فالمكان مؤمن عليه ضد السرقة .. وما يقوله الرجل غير منطقى ؛ لذلك واجهه بالسؤال :

ـ تعنى أنك فى اللحظات القليلة التى كنت تعرض فيها بضاعتك على الهانم وبمجرد عودتك إلى الفاترينة .. اكتشفت المفقودات .. مع أن أحدًا لم يدخل سوى هذا الرجل ..

تجاهل الرجل لهجة السخرية فى كلمات الضابط واستخدامه مصطلح (بضاعتك) وكأنه تاجر أقمشة بالوكالة .. وقال فى هدوء مصطنع :

ـ لا يا سيدى أنا لم أغادر مكانى خلف الفاترينة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

هذه قاعدة يعرفها جميع تجار المجوهرات ..

كتم الضابط ضحكة كادت تفلت منه فهى أول مرة يسمع مصطلح (تجار المجوهرات) والذى ذكره بـ (تجار المخدرات) لكنه رجع منتبهًا إلى حديث الرجل ..

ـ حين أقوم بفتح هذا الجزء كى أخرج شيئًا فإنى أقف بجسدى هكذا .. كى أسد الجزء المفتوح ..

ـ حدد لى بالضبط متى اكتشفت المفقودات ..

ـ حين انحنيت كى أعيد الخاتم .. اكتشفت المفقودات ..

ـ إذن فالسارق هو أحد المتواجدين فى هذه اللحظة ..

هز الرجل رأسه موافقًا :

ـ تمام ..

ـ إما هذا الرجل ذو المعطف .. أو رجل الأمن أو أحد البائعين الثلاثة الآخرين .. أو السيدة المحترمة .. أو ...

وسكت لحظة ناظرًا إلى الرجل الذى قال وقد فهم باقى العبارة :

ـ أو ماذا يا سيدى ؟

هل تتهمنى بسرقة مجوهراتى ؟

ولماذا أفعل ؟

ـ ربما كنت مؤمنا عليها ..

وعلى كلٍّ سيتم تفتيش المكان بواسطة خبراء للبحث عن مفقوداتك ..

ـ وهؤلاء؟؟

قالها صاحب المحل مشيرًا إلى الرجل والسيدة ..

ـ سيتم تفتيش جميع المتواجدين فى لحظة الاختفاء ذاتيًا ..

بما فيهم أنت بالطبع ..

قالها الضابط مشيرًا إلى صاحب المحل وكأنه أشار إلى صاحب المعطف وصاحبة الفراء بالكلام فقد اندفعا فى وقت واحد صائحين :

ـ سوف أقاضيك على هذه الإهانة ..

ـ حين يعلم زوجى بهذه المهزلة فسوف لن ...

ونطقت بكلمات لا تتناسب مع مظهرها ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فى هذه اللحظة كان الدكتور / فايز جالسًا فى معمله يطعم بيده اليسرى فأرًا صغيرًا محبوسًا فى قفص معدنى ويتأمل فى الأخرى أشياء صغيرة فى يده ..

قائلا :

ــ لقد انتهت مهمتك يا صديقى ..

ولو اقتربنا فى فضول لرؤية (صديقى) لوجدنا ثلاثة خواتم وعلى المنضدة ســوار ثمين ولا يفوتنا أن نلاحظ ظلاً أسود لشخص لا تظهر ملامحــه يتحرك فى اتجاه د فايز من الخلف حاملاً عمودًا كبيرًا ..

ويفاجئنا التغير المفاجئ فى نبرة صوته قائلاً :

ــ أعلم أنك لم تفعل شيئًا لكن صدقنى أنا أيضًا لا أحب هذا الجزء ....

ومد يده بسرعة قابضًا على رقبة الفأر ، ثم اعتصرها بقوة .. تاركًا الفأر جثة بدون حراك ..

وفى نفس اللحظة ترددت صرخة قوية آتية من ظلام المعمل امتصتها بسرعة جدران المعمل العازلة ..

11 ــ فى المستشفى الاستثمارى ..

فى المستشفى الاستثمارى الفخم ..

وقف الطبيب الشاب مبتسمًا أمام (منيرة هانم) ..

وفى لهجة هادئة واثقة قال :

ــ تأكدى يا هانم أن ابنك سليم تمامًا ..

ــ لكنى رأيت بعينى الفأر وهو ..

ولم تكمل منيرة هانم وكأن لسانها لا يطاوعها لقول الكلمة ..

لكن الطبيب أكمل :

ــ لو أن ما تقولينه صحيح فأنا أؤكد لك أن هذا الشىء لم يؤذ ابنك إطلاقًا ..

فى لهجة استنكار صاحت :

ــ ما أقوله صحيح ؟!! هل تشكك فى قدراتى العقلية ؟

هل تظن أنى أتخيل أشياء يا دكتر؟ (بدون واو وتفخيم التاء)

Looloo
www.looloolibrary.com

وماذا عن المربية ؟ هل تتخيل هى أيضًا نفس الأشياء ؟

تراجع الطبيب أمام انفعالها غير المتوقع :

ــ لم أقل ذلك .. لكن هذا الشىء .. لم يؤذ ابنك .. بل لا يوجد دليل على أن كائنًا حيًا لامس جلد ابنك ..

ــ أقول لك كان واقفًا فوق صدره الصغير ..

ــ نعم .. أى فوق الملابس ...

لو كنت احتفظت بالملابس لأمكننا معرفة أى حيوان هذا .. وهل يحمل عدوى من أى نوع ؟؟

لكنك تخلصت منها...

ــ طبعًا لقد نزعت عنه ملابسه كلها وألقيتها فى القمامة وإلى أن جاء الإسعاف كنت قد أعطيته حمامًا دافئًا ..

ــ وقد أزال هذا كل شىء ...

أؤكد لك يا هانم .. كل شىء..

12 ــ فى النادى الكبير ..ـ

فى النادى الكبير الذى لم يزره د/ فايز منذ سنوات وعلى منضدة خشبية مثقوبة من المركز كى تقطعها بميل عصا خشبية غليظة تنتهى إلى مظلة عريضة تحجب الشمس الساخنة عن وجه وذراعى د/فايز هو وصديقه الحميم ، وهما يراقبان الأطفال الذين راحوا يقفزون فى نشوة وسرعة إلى حمام السباحة الكبير وغير العميق فتتناثر المياه على الجالسين بمقربة منه ..

وبعد أن وضع النادل المشروبات المثلجة وسأل عن أية خدمة أخرى ..

بدأ د/ عدلى قائلاً :

ــ لا شك أنه أمر جلل ذلك الذى يجعلك تترك عملك وتأتى بى إلى مكان لم تدخله منذ سنين ..

هيا أفصح عما بداخلك ..

ولما لم يجد استجابة من صديقه وإنما عينان معلقتان بسطح الماء الذى غلبت عليه الأمواج الصغيرة بفعل الحركة والقفز

Looloo
www.looloolibrary.com

المستمر .. واصل د/ عدلى فى شىء من المرح :

ــ هل هى وليمة جديدة ؟؟

ثم رد على نفسه قائلاً : لكنك لا تحتاج لكل هذا التحايل كى تعزمنى على وليمــة .. يكفى أن تشــير إلى بطنك حين ترانى صدفة فى ممر الكلية وسوف أسألك متى ؟ وتجدنى أنا والأولاد عندك..

تكلم د/ فايز وكأنه لم يكن يسمع صديقه .. فقال:

ــ تعلم يا عدلى أنى لم أكن أجد متعة فى اللعب مع الأطفال .. وأن متعتى الكبيرة كانت دائمًا فى اللعب بأشياء والدى ودخول المعمل والقيام بما كنت أعتقده وقتها تجارب ستغير وجه التاريخ ..

ــ هذا شىء معروف .. أنت فلتة منذ صغرك ..

ــ لقد حذرنى أبى وحاول منعى فى بداية الأمر .. ؛ خوفًا علَىَّ من الأدوات والمواد الكيماوية فى المعمل .. إذ من السهل جدًّا أن ألقى حتفى بسبب غاز سام أو على الأقل أتعرض للتشويه بســبب الأحمــاض والقلويات الشــديدة .. أو تفــرم يدى مثلاً لو انجذبت داخل أحد الأجهزة واعتصرتها التروس القوية ..

ــ أفهم هــذا .. لو أنى مكان أبيــك لسددت منافذه تمامًا .. وجعلت على باب الخروج أقفالاً محكمة لا يتعداها سواى ..

ــ وهــذا ما حدث وأكثر .. فالتهوية كانت تمر عبر مواسير عديدة صــغيرة القطــر تمــر بجانب مواسير المياه وتفتح للخارج .. أما قفل باب المعمل الحديدى فكان يذكرنى بقصص ألف ليلة وليلة وأقفالها الضخمة خصوصًا بالنسبة لحجمى وأنا صغير .. زد على ذلــك أن المعمل نفســه لم يكن فى مستوى سطح الأرض ..

ــ بمعنى ؟

ــ بمعنى أنه شغل المساحة الكبيرة التى كانت قبوًا للفيلا الكبيرة وحين أراد أن يبنى البناية الحالية مكانها أعاد تصميم القبو واستعان بأكثر من شركة لتكوين التصميم النهائى على عمق خمسة أمتار من سطح الأرض .. وحين علم والدى إصرارى .. ووجدنى تجاوزت هذه الحدود والعقبــات فى كل مرة .. استسلم واعترف بى .. خاصة وقد وجد أن تجاربى ليست تافهة إلى هذ الحد .. وأنها تتجاوز كونها ألعابًا لا طائل منها ..

ــ ماذا تعنى بــ (اعترف بى) ؟؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أعنى أنه أعطانى نسخة من مفتاح المعمل .. قبلتها دون أن أخبره أنى أمتلك واحدة بالفعل بفضل عم جابر ..

ـ عم جابر؟ أم أبيه ؟؟

ـ بل .. عم جابر نفسه الذى يهب واقفًا من على دكته الأبدية عند مدخل البناية حين يراك هابطًا من سيارتك ويستلم حقيبتك مُرَحِّبًا ..

ـ نعم .. قائلاً : يا هلا بالبهوات الدكتور فى انتظاركم ..

ـ لقد قدم إلينا منذ زمن قبل أن نهد الفيلا ونبنى مكانها تلك البناية .. كان شابًّا صغيرًا لكنه نشيط وقوى وبه شىء غير قليل من الذكاء ..

ـ قوى ؟؟!! إنه يحمل حقيبتى العادية بصعوبة ..

ـ هـو للأسف مدخن ثقيـل .. ربما أيضًا يضيف للشيشة بعض المكيفات ولولا أن والدى هـو من عينه لكنت أقلته بسبب الدخان ..

لكنه مع ذلك يحمل بعض المزايا ..

سكت د/ عدلى وكأنه لا يريد قطع أفكار صديقه فتركه يتحدث عن البواب الذى لا يهمه هو فى شىء حتى ينتقل من تلقاء نفسه لما هو أهم ..

ـ لقـد جربه والدى رحمه الله أكثر من مرة حتى وثق به وائتمنه على نظافة المعمل ... تخيل ؟!

ـ لكنه لم يحفظ الأمانة وأعطاك المفاتيح ..

ـ قلت لك إنه كان على قدر من الذكاء وبالتالى لم يكن ليغضب البيه الصغير .. وفى أسرتنا العجيبة هذه تمكن عم (جابر) من إرضاء جميع أطرافها بالتحايل .. وأنا بدورى لم أقع فى خطأ والدى حيث لا أتركه ينظف المعمل إلا فى وجودى ولا أعطيه نسخة من المفاتيح بالطبع ..

ـ هيه .. رحم الله أبى ..

لو أن رجلاً يجلس بالسـاعات الطويلة أمام التلفاز فسيعتبر الابن أن ساعة واحدة من الاستذكار عمل رهيب .. أما والدى فقد كانت متعته المعمل والتجارب ..

ولقد ورثت عنه هذا الغرام ونعم الإرث ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ ذكرتنى بقول الشاعر :

مشى الطاووس يومًا باختيال * *

فقلد شكل مشيته بنوه

فقال علام هذا الزهو ؟ قالوا :

سبقت به ونحن مقلدوه

فأصلح مشيك المعوج واعدل

فإن تعدل فنحن معدلوه

وينشأ ناشئ الفتيان منا

على ما كان عوده أبوه

ـ رائع يا عدلى .. أنا أعرف البيت الأخير منها ... فليكن ..

كان رحمه الله عالمًا بمعنى الكلمة .. لكنه ـ شأن أغلب العباقرة ـ مات قبل أن يصل لسن الشيخوخة .. لقد كان عمره أقل من أن يتسع لطموحه العلمى الواسع .. لذلك فقد أوصانى بعد أن توسم فىَّ خيرًا أن أواصل أبحاثه ..

وقد كانت له بحوث رائعة عن سلوك الحيوان واستجاباته

وهى أبحاث دقيقة تتسم بالتخصص الشديد والذى لم يلق تقديرًا من رؤسائه فى ذلك الوقت ..

ولأنه لم يكن يسع لمنصب أو شهرة فهو لم يتعب نفسه فى إثبات أهمية بحوثه .. وإنما واصل العمل مؤمنًا أن الوقت الذى يضيع فى إثبات أهمية العمل يجب أن يستغله فى مزيد من العمل

ـ لكنه مات صغيرًا ..

ـ مات تاركًا كنزًا من العلم لا يقدر بثمن ..

ـ ثم أكملت أنت مسيرته ..

ـ ليس بالضبط ..

ـ ماذا تعنى ؟!

ـ أعنى أننى لم أكن أميل لهذا النوع من التخصص .. فعقلى رياضى بطبعه .. فأنا أحب الأرقام والمعادلات أما هو فمحب للأنسجة والخلايا ..

.. فى البداية كنت أقوم بألعاب ساذجة أحسبها تجارب من خلال معلوماتى البسيطة فى المدرسة ومقلدًا والدى وحركاته كأن أحقن أحد الفئران بجزء كنت أظنه الغدة النخامية لفأر آخر معتقدًا

Looloo
www.looloolibrary.com

أنها مخزن كبير لهرمون النمو وبالتالى سينمو نموًا غير طبيعى ..

لكن هذه الألعاب أعجبت أبى وشجعنى على الاستمرار ..

ـ أعتقد أن هذه التجارب لا علاقة لها بالرياضيات ..

نطقها د/ عدلى فى تردد كى يجيبه د/ فايز بسرعة وكأنه ينتظر السؤال :

ـ كنت أسجل بالأرقام وبدقة كبيرة كل تفاصيل التجربة ثم أوجدت العلاقات بين هذه الأرقام فى عشرات التجارب .. وكانت هذه الأرقام هى البداية ..

ـ .. آه أذكر أنك كنت تحصل على الدرجات النهائية فى الرياضيات طوال عمرك وفى المستوى الرفيع أيضًا أليس كذلك ؟

ـ نعم .. نعم .. لكن ليس هذا هو المقياس الحقيقى .. فيكفى التدريب على حل خمسين اختبارًا كى تحصل على خمسين من خمسين ..

13 ـ الشاب الذى تشع عينه ..

الشاب الذى تشع عينه ذكاء وتظهر قرنيته حمراء بعض الشىء دليلاً على الإرهاق .. هو نفسه الدكتور / فايز منذ ثلاثين عامًا ..

وهو واقف فى المعمل بجوار أبيه ..

حيث راح ذلك الأخير يعبث فى أحشاء أرنب مفتوح البطن .. ومثبت الأطراف .. ولولا علمنا أن هذا عالم كبير وابنه .. لظننا أنهما (معلم) (بكسر الميم) وصبيه (بضم الياء وتشديدها) ينظفان أرنبًا للزبون ..

لكن الملل بدأ يظهر على ملامح الشاب .. الذى تثاءب واستأذن والده قبل أن ينهيا العمل ..

كى يدخل ركنًا صغيرًا احتشدت به حظائر معدنية كثيرة حوت العديد من الحيوانات وكان الجانب الأيمن كله أرانب بأشكال وأحجام مختلفة ..

وما إن امتدت يده إلى أحد الأرانب حتى ذهب الملل والإرهاق وراح يعمل بنشاط .. حيث ثبتها وقام بتخديرها وشق بطنها لكنه

Looloo
www.looloolibrary.com

لم يلمس أى جزئ من داخلها ، وإنما وعلى أوراقه الخاصة راح يخط بضعة أرقام ويرسم خطوطًا متقاطعة بأشكال غريبة ثم يضع بعض الرموز .. وهكذا ..

واستمر فى عمله بضع ساعات .. كان الوالد خلالها قد أنهى عمليته وخيط أنسجة الأرنب ووضعه فى مكان أشبه بحظيرة العناية المركزة للأرانب .. ثم ذهب فى خطوات متثاقلة متطلعًا فى فضول لما يفعله ابنه لكنه هتف فى هلع ..:

ــ ماذا تصنع يا فايز ؟!!

وقد كان لهلعه سبب وجيه ؛ حيث وجد الحظيرة أشبه بمجزرة انتشرت على أرضها جثث عـدد كبيـر من الأرانب بينما اندمج (فايز) تمامًا فى تدوين ملاحظاته الرقمية ..

وأجاب والده دون أن يلتفت إليه :

ــ لا شىء يا أبى إنها مجرد تجربة ..

.....

ترددت العبارة فى ذهن الدكتور فايز .. مجرد تجربة ..

مجرد تجربة ..

ثم انتبه من ذكرياته لصديقه فتابع :

ــ إذا كـان حجم الأرنب الكلى كـذا .. وطول ذراعه كذا .. وسمك طبقة الجلد الخارجى كذا .. فإن القلب يبعد عن عظمة القص كذا ملليمتر بالضبط .. من خلال المعادلة ..

كانت هذه هى البداية ثم ازدادت الأمور عمقًا وتعقيدًا فلم تعد العلاقة فى نظرى بين علم التشريح والرياضيات مجرد أرقام فى معادلات تحدد أبعاد الأعضاء وإنما أصبحت الأرقام والمعادلات مواد كيميائية موجودة تمثل الخلايا والأنسجة التى تمثل الأعضاء وبالتالى فالعبث بهذه المعادلات .. يعنى ..

ــ يعنى العبث بالحيوان نفسه ..

ــ ها قد فهمت ..

ــ فهمت لكنى لا أصدق .. كلنا يعرف أن نظريتك هذه فلسفية وليست علمية بحتة ..

ــ (النسبية) كذلك بدأت كفكرة فلسفية ثم تحولت إلى أرقام ومعادلات .. والأمر شبيه بها .. ألم تحدد (النسبية) العلاقات بين أجرام السماء وكواكبها ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ بلى ..

ـ أى إنها حولت هذه الأشياء الجامدة إلى معادلات رياضية .. فالكوكب لم يعد كذلك .. وإنما هو كتلة وحجم وحركة ... إلخ فى معادلات واضحة وبالتالى فأنا أعرف وأتنبأ بكل شىء عنه من خلال هذه المعادلات ..

ما فعلته أنا يا صديقى أنى وضعت جسم الحيوان فى هذه المعادلات ..

ـ وهل فعلت ذلك مع الإنسان أيضًا ؟

ـ بالطبع ومعادلته شبه مكتملة الآن ..

ـ أية معادلة ؟

ـ الإنسان السليم يساوى هذه المعادلة .. وبالتالى حين تختل المعادلة يكفى التعامل معها من خلال إضافة معادلة جديدة كى تعود إلى أصلها .. وهذه المعادلة الجديدة المكملة هى الدواء فى أنقى صوره ..

ـ وماذا لو اختلت المعادلة بحيث أصبحت صفرًا ؟

ـ فى هذه الحالة فصفر يعنى الموت يا صديقى ..

ـ لو أن كلامك هذا صحيح فأنت واحد ممن غيروا فكر العالم ونظرته الكلية للعلوم ..

ابتسم د/ فايز فى حياء حقيقى قائلاً ..

ـ ليس لهذا الحد فأنا مجرد إنسان يبحث عن العلم ..

Looloo
www.looloolibrary.com

14 ـ سين تربيع فى صاد موجب سبعة .. سينسيجيا ..

ـ أتدرى يا (عدلى) بهذا المفهوم فأنت عبارة عن معادلة .. وهذا الطفل الذى يقفز الآن فى حمام السباحة هو معادلة أيضًا .. قد تتشابه المعادلتان إلى حد كبير .. وقد تختلفان تمامًا .. لكنها فى النهاية معادلة ..

ـ لا أستسيغ فكرة أن أكون كلى عبارة عن سين تربيع فى صاد موجب سبعة .. لا شك أنى أمتلك عواطف وأحاسيس وأفكار لا يمكن التعبير عنها كمعادلات رياضية بحتة ..

ـ يبدو أنك لم تركز معى يا (عدلى) .. فلنبدأ من جديد ..

ـ لا .. أنا منتبه وأذكر أنك بدأت بقولك إن المشاعر هى تغيرات كيميائية بالمخ والكيمياء هى جزيئات صغيرة ترتبط بعلاقات فيزيائية والفيزياء هى معادلات يتم تبسيطها فى صورة رياضية بحتة .. لكنى فقط أعجز عن تخيل ذلك ..

ـ تعجز عن تخيل ذلك .. وهذا هو الفارق بين عالم وأستاذ جامعى .. لكنى لا أطالبك بالتخيل .. إنه أمر واقع يا صديقى ..

ـ هل تعنى أنك تمتلك الآن معادلات للأشخاص ..

هل تمتلك معادلة لك مثلاً ؟

وهنا ابتسم د/ فايز ابتسامة ماكرة وتابع كأنه لم يسمع السؤال :

ـ قد تتشابه معادلة هذا الطفل معك تمامًا لكنها تختلف فى جزء صغير .. ذلك الجزء هو المسئول عن الفوارق الجسمية والنفسية بينكما ..

ـ كالحجم ..

ـ مثلاً .. لكن الحجم كلمة عامة.. يجب أن تحدد ..

حجم العضلات .. أم حجم الجلد ..

ـ تقصد مساحة الجلد ..

ـ أنا عالم يا صديقى ... وحين أقول حجم فأنا مسئول عن الكلمة .. بل أقصد حجم الجلد .. طولاً وعرضًا وسمكًا .. وبالمناسبة لقد شغلنى موضوع الحجم مدة لا بأس بها حتى استطعت تبسيط معادلات الحجم إلى أبسط صورة ممكنة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ معادلات ؟!!.. هل تعنى أن معادلة الشخص الواحد لها أجزاء كثيرة ؟

ــ طبعًا .. إن المعادلة التى تمثلك مثلاً .. تحتل حوالى أربعين صفحة ..

ــ أربعين صفحة وتقول لى صورة بسيطة ؟!!

ــ نعم بسيطة .. فهى معادلات مرتبطة معلومة الوظائف .. هذه وتلك للعين وبإضافة هذه نحصل على العصب البصرى .. ولو نزعنا هذه يصاب العصب البصرى بمشكلة ... وهكذا ..

ــ إن هذه ثورة فى علم الأمراض..

ــ فى علم الأمراض فقط ؟.. ألم أقل لك إن خيالك ضعيف ؟

وضحك د/ فايز .. ثم واصل :

ــ (السينسيجيا) مثلاً هى حالة نادرة جدًا ، صاحبها لا يفرق مخه بين الحواس المختلفة ، فعندما ينظر المصاب بالسينيسيجيا إلى شىء ، فإن شبكية العين لا تبعث بإشارة إلى مركز الإبصار فقط فى مخــه ، بل تبعــث أيضًا إشــارات إلى مراكز الحواس الأخرى كالسمع والشم والذوق واللمس . ومن ثم فالمصاب بهذه

الحالة لا يسمع تغريد الطيور فقط ، بل يرى لها رسمًا ويعرف لها لونًا .

وهو أيضًا لا يقرأ الكلمات فقط ، بل يتذوق لها طعمًا فى لسانه ويشم لها رائحة فى أنفه ، وربما يحسّ لها وخزًا فى جلده(*) !!

ــ نعم .. سمعت عن هذه الحالة من قبل .. لكن ماعلاقة (السينسيجيا) بنظريتك ؟

ــ لا يوجد تفسير علمى منطقى حتى الآن لهذا التداخل فى حواس المصابين بهذه الحالة .. لكن نظريتى تفسر بسهولة هذه الحالة ..

(*) حقيقة .. ومن صفات مرضى (السنسيجيا) أيضًا أن أصحابها يتميزون بذاكرة فوتوغرافية حديدية لا تعرف الوهن ، فهم يستطيعون تذكر مصفوفة من خمسين رقمًا بعد سنوات من إلقاء نظرة عابرة عليها ! ومن أشهر المصابين بالسينيسيجيا صحفى روسى فحصت حالته العجيبة على امتداد الربع الثانى من القرن العشرين . ولقد ترك هذا الرجل مهنة الصحافة ليعمل بالسيرك الروسى ، حيث كان يقوم بإبهار المتفرجين بقدرته على تذكر أى شىء يكتب له على ورقة بعد نظرة عابرة ، بل كان بإمكانه إذا وقعت عيناه على صفحة من كتاب أن يعيد تلاوتها من الذاكرة ، بل كان يعيد قراءتها بالمقلوب أيضًا .

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ كيف ؟؟

ـ لقد تساوت بعض الأطراف فى معادلات الحواس .. وبالتالى أصبحت معادلة .. الحاسة الواحدة تخدم عدة حواس ..

15 ـ حوض التكوين ..

أنا أضع معادلة د/ عدلى مثلاً .. وعلى الجانب الآخر معادلة الأرنب ..

ثم أحذف جميع الزيادات بمعادلة د/عدلى حتى تتساوى مع الأرنب ..

ـ وماذا لو لم تتساو؟

ـ سؤال ممتاز يعنى أنك تفهم جيدًا ما أقول ..

طبعًا لو اقتصر الأمر على حذف بعض المعادلات مثل عدد أصابع اليد وطول عظمة الفخذ .. إلخ كى تتشابه بمعادلات الأرنب لكان الأمر سهلاً ..

لكن المشكلة ..

قاطعه د/ عدلى قائلاً : المشكلة أن الأرنب يمتلك أشياء أى معادلات لا أملكها أنا مثل الذيل .. وطول الأذن ... إلخ ..

ـ رائع يا عدلى سوف أغير فكرتى عنك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

هذه هى المشكلة .. لكن الذيل أمره هين لأن تحويرًا بسيطًا فى معادلة عظام (العصعص) بحيث تشابه معادلة ذيل الأرنب ستعطينا ذيل الأرنب .. وكذلك طول الأذن .. فأنت تمتلك معادلة للأذن بشكلها وطولها .. أعنى صوان الأذن الخارجى .. وبتعديل بسيط فى هذه المعادلة ستشبه أذن الأرنب ..

لكن المشكلة فى تلك الجزيئات التى لا تجد لها أى مقابل فى الإنسان .. مثل فرو الأرنب ..

ــ صحيح كيف ستعدل معادلتى كى تنتج فروا قليلاً بينما أنا لا أمتلك معادلة الفرو أساسًا ؟!

انتظر.. دعنى أخمن .. أنا أملكها لكنها خاملة .. أو غير مستخدمة وأنت تقوم بإعادة تنشيطها ...

ــ لا لا ..... لا توجد معادلات خاملة وأخرى نشيطة .. وإلا لولد لنا طفل بفرو أرنب لأن معادلة الفرو نشطت فجأة .. وهذا كلام غير وارد ..

ــ امممم ..... صحيح .. فماذا فعلت كى أستطيع أن أمتلك فروًا ؟

ــ ببساطة شديدة أخذت معادلة الفرو من الأرنب وأضفتها لمعادلتك ..

ــ تعنى أنك أخذت الجزيئات التى حددتها المعادلة والخاصة بالفرو من هذا الحوض ..

وأشار إلى رسم توضيحى كان الدكتور / فايز قد رسمه على وريقة صغيرة

ــ وأضفتها إلى حوض التكوين ؟؟..

ــ بالضبط ... بعد أن تأكدت أن المعادلة الآن متساوية تمامًا ..

ــ تعنى معادلتى أنا د/عدلى ومعادلة الأرنب ..

نعم .. لكنها لم تعد معادلة د/ عدلى .. لقد أصبحت معادلة أرنب تساوى تمامًا معادلة أرنب أخرى ..

ــ سأقوم بتجربة جديدة .. تحتاج لطاقة عالية جدًا ..

www.looloolibrary.com

وأنا أمتلك مولدات احتياطية كثيرة لكنى أخشى من حدوث زيادة ضغط ينتج عنه خلل من أى نوع ؛ وبالتالى أريد رفيقًا لى فى هذه التجربة ..

قالها وهو يراقب الماء المتموج بحمام السباحة لكن د/ عدلى أجاب بسرعة وصدق :

ــ أنا رفيقك يا فايز ..

16 ــ وصل سامى وصاحبه ..

وصل (سامى) وصاحبه .. إلى المطعم عند نهاية الشارع فى الموعد المحدد كى يجدا سيارة الدكتور/ فايز مستقرة أمامه ..

وبسرعة فتح لهما الباب الخلفى ، فدلفا على الفور .. بينما زاغت الأعين ناحية اللفائف العديدة الموضوعة على الكرسى الأمامى بجوار د/فايز والتى فاحت منها رائحة الطعام الشهية ..

ــ أنتم بخلاء أم ماذا ؟

نطقها د/ فايز وهو يدفع باللفائف إليهما مضيفًا :

ــ هذا وقت العشاء وأنتما ضيفاى اليوم ..

ــ لا يا د/ كتور .. لا داعى لكل هذا ..

نطقها (سامى) فى خجل حقيقى بينما كان صاحبه يأكل بالفعل ..

وهنا نظر إليهما د / فايز فى مرآة السيارة وابتسم متابعًا :

ــ هيا يا شباب .. فستحتاجون للطاقة فى الساعات القادمة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

بعد أن أنهى الفتيان الطعام فى غير كثير من الوقت .. وجدا الدكتور فايز لدهشتهما يقول :

ــ والآن ستضعان هذه العصابات على رءوسكم ..

نظر الفتيــان إلى قطعتى القماش السوداء فى بلاهة فى حين واصل د / فايز :

ــ طبعًا أنا أثق فيكما لكن ارتداء العصابة سيريحنى نفسيًا ..

ــ أشعر أنى متجه لمباحث أمن الدولة .. وليس إلى معملك يا دكتور(*)..

نطقها صاحب (سامى) فأجابه د/ فايز بسرعة :

ــ لو أن أمن الدولة يريدك فسيصحبك بقواته من المنزل ولن يحتاج لأية حيلة ... صدقانى إنها مسألة نفسية بحتة .. لم يعرف أحد أين المعمل .. ولا أنوى أن تكونا أنتما أول العارفين ..

ــ لكن يا دكتور ..

(*) مباحث أمن الدولة : جهاز تابع لوزارة الداخلية له صلاحيات كبيرة فى احتجاز من يُخشى منهم على أمن البلاد الداخلى .. أغلب معتقليه من الجواسيس وأصحاب الفكر المعارض ..

قاطعه الدكتــور بفرملة قوية أوقف معها السيارة ثم التفت إليهما قائلاً :

ــ الشروط واضحة ... تريدان الاستمتاع والمغامرة ..

تريدان معرفة أسرار أستاذكم العبقرى المجنون ..

تريدان اقتحام تجربة مجهولة .. إذن عليكم بالخضوع لجميع أوامرى .. ولنتفق الآن ..

الطاعة ثم الطاعة وأخيرًا .... الطاعة .. كى لا يحدث شىء خطر ..

إما أن تلبسوا هذا الآن وإما أن تهبطوا فورًا من السيارة .

لم يتحدث (ســامى) وإنما ارتدى العصــابة فى هدوء بينما تلكأ صاحبه قليلاً ثم رفعهــا ناحية رأســه وهــو مطمئن فى قرارة نفسه ، فصحيح أن صــحة الدكتــور فايز جيدة ربما كان يمارس رياضة ما .. لكنه رغم ذلك متأكد أن الأمور لو تأزمت فهو قادر على صرعه بدون مساعدة من (سامى) ؛ فارتداها قائلاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ آمل أن يكون فى المعمل المزيد من هذه اللفائف اللذيذة ..

وهنا ابتسم د/فايز بعد أن أحكم بنفسه إغلاق العصابات بأقفال صغيرة أثارت فزع الفتيان .. قائلا :

ـ أعدكم بالمزيد ..

17 ـ بمجرد أن عصب سامى عينيه ..

بمجرد أن عصب سامى عينيه استبدل حاسة النظر بجميع حواسه .. لقد أرهف سمعه جيدًا كى يسمع صوت الترام أو الأذان قادمًا من أحد المساجد أو حتى صوت احتكاك العجل بالطريق ....

كما ركز جيدًا كى يشعر بالمطبات وبالدورانات بل وراح يعد المطبات ويقدر تقريبًا المسافة بينها والشوارع المزدحمة والأخرى السالكة التى سار فيها ..

لكن المسألة كانت أصعب بكثير مما تخيل (سامى) ..

لأن د/ فايز وكأنه قرأ أفكار الفتى ..

تأكد من غلق الشبابيك الزجاجية تمامًا .. ثم أردف بعدها الستائر فاستحالت السيارة إلى حجرة شبه مظلمة من الداخل ..

كما أنه وباستمتاع كبير راح يدور فى الشوارع بطريقة عشوائية توحى لهما أنهما مسافران إلى بلد آخر ، حتى إنه دار فى شارع واحد كان خاليًا من السيارات سبع دورات فى الاتجاهين

Looloo
www.looloolibrary.com

حتى تذكر أشواط السعى بين الصفا والمروة وابتسم ..

ولقد فهم سامى هذا حين مر الوقت ولم يصلوا إلى مكان فلم يحاول التتبع أكثر من ذلك ..

... أما صاحبه فقد اضطجع فى مقعده ونام بالفعل بعد أن ألحت عليه معدته الممتلئة بالطعام ..

لم يستيقظ إلا على صوت معدنى ثقيل يدور بتخبط شبه منتظم ..

عرف سامى أنه صوت باب معدنى من أبواب المحال التجارية التى تفتح لأعلى أو أنه باب جراج ..

وحين أمرهما د / فايز بالنزول بهدوء من ناحية باب (سامى) .. توقع الأخير أن يسير بهما مسافة طويلة وأن يهبط العديد من السلالم ؛ لذلك نطق فى لهجة اعتراض :

ـ كيف سنمشى هكذا يا دكتور ونحن ..

لكن د / فايز قاطعه فى لهجة آمرة بنبرة شبه هامسة :

ـ الطاعة ..

وبمجرد أن خطا الفتيان خطوات بسيطة كانت يد د/ فايز تمتد للأقفال كى تحررهما ويفتحا أعينهما بعد هذه الفترة ليروا أمامهم ..

كل شىء ..

Looloo
www.looloolibrary.com

18 ـ انحنى سامى ..

انحنى سامى يلتقط القلم الذى وقع منه .. وعينه تتفحص أرضية المكان باهتمام ..

كان المكان أمامهما واسعًا أشبه بساحة مربعة ..

ذا إضـاءة عتيقة أحدثت صوتًا عند تشغيلها ولم تنجح فى إضاءة المكان كله ..

كان المكان خاليًا إلا من منضدة عتيقة وقعت عليها عشرات المـواد الكيميائية فأحدثـت بها بقعًا وحروقًا يسـتحيل التخلص منهـا ..

وُضِع عليها جهاز حاسب آلى عادى جدًا أو أقل من العادى ..

وأمامهما كرسى خشبى ... ـ عتيق بالطبع ـ .. وكأن هذا هو كل شىء .. لكن أعين الفتيان امتدت ناحية الجدار البعيد للساحة ، والواضح أنها تحت الأرض حيث الإضاءة أضعف ما يكون ..

ثمة بضعة صناديق مغلقة بإحكام بأقفال سوداء وفوقها عدة

أجهزة بسيطة وأنابيب اختبـار قديمـة والتصقت بها حظيرة بارتفاع الرجل البالغ بها أشياء صغيرة ساكنة لم يتبين الفتيان نوعها وإن كانت تبدو من هذا المنظور .. أرانب .. أو حيوانات صغيرة محنطة ..

هتف صاحب سامى بخيبة أمل واضحة :

ـ أهذا هو كل شىء ؟؟!!

أما د/ فايز فقد ابتسم وهو مستمتع بهذه اللعبة قائلاً :

ـ لا تحكم على الشىء من مظهره يا بنى .. إن الكنز الدفين غالبًا ما يخبأ فى خرابة (مقطوعة)

ثم إنه اتجه فى خطوات ثابتة إلى الحظيرة بعد أن أعطى سامى ورقة صغيرة قائلاً :

ـ إذا مرت نصف ساعة ولم أخرج ، فعليك بتشغيل الجهاز وتسجيل هذه الشفرة..

أما أنت .. فستحمل المنضدة والجهاز بعد التأكد من إدخال الشفرة طبعًا وفى هدوء تضعهما أمام باب الحظيرة ..

وهنا قال صاحب (سامى) فى استنكار :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ فقط ؟!!

فلم يحصل من د/فايز على رد سوى :

ـ فقط ..

وابتلعه الجزء المظلم من الحظيرة ..

19 ـ هـذا الديـكور ..ـ

ـ هذا الديكور لن يخدع طفلا صغيرًا .. فالجهاز غير متصل بأية أسلاك .. والحظيرة نظيفـة جـدًا أى إنهـا ليست حظيرة الحيوانات الأصلية .. أما هذه الأجهزة الصغيرة فلا تصلح معملاً لمدرسة إبتدائية ..

إن الأمور أعقد من هذا .. وهذه البقع والحروق على المنضدة نتيجة لتجارب قوية حدثت فى مكان آخر أكثر تجهيزًا وإحكامًا ..

ـ لكن لماذا كل هذا التحايل ؟ وأين ذهب د/ فايز؟

ـ هـو لم يذهب .. إنه يختبر رد فعلنا وأعتقـد أنى نجحت فى الاختبار .

توقع سامى أن يخرج د/فايز من الحظيرة بعد انتهاء كلمة (اختبار) ... لكن أحدًا لم يخرج ..

ومـرت بضـع ثوانٍ صامتة .. ثم طالت فقطعها صـاحب (سامى) قائلاً :

ـ هل أنت متأكد من موضوع الاختبار هذا ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ولِمَ لا نجرب ؟

قالها (سامى) متجهًا لجهاز الكمبيوتر .. لكن صاحبه قبض على ذراعه قائلا ..

ــ انتظر .. لقد أمرنا أن نفعل بعد مرور نصف ساعة .. لم تمر منها سوى ثلاث دقائق ..

ــ وليكن .. لننتظر كما أمرنا .. وإن كنت أشك أن شيئًا سيحدث .

.....

لم يكن (سامى) وصاحبه يدركان أن الوقت يمكن أن يتمدد .. إلا فى هذا اليوم ..

حين كان عقرب الثوانى يتحرك ببطءٍ شديد .. ويدور الدائرة كاملة فلا يقابله حركة ملحوظة لعقرب الدقائق ..

أخيرًا مرت النصف ساعة .. فاندفع (سامى) ناحية الجهاز وضغط زر التشغيل فأضاءت الشاشة وهنا ابتسم صاحبه قائلاً :

ــ لقد ظلمت الرجل ، لكن (سامى) رد عليه :

ــ ربما كان الجهاز مزودًا ببطارية داخلية تغنيه عن الأسلاك لكنى ما زلت متأكدًا أن هذا المكان ليس المعمل الخاص للدكتور ..

كان سامى يتكلم وهو يخط بيده الأوامر المكتوبة فى الوريقة الصغيرة التى أعطاها له د/ فايز قبل أن يختفى داخل الحظيرة ..

ــ وأنا معك فى هذا .. ربما كان هذا المكان هو مدخل المعمل ..

ــ نعم أعتقد ذلك وفى الغالب سيكون المدخل الحقيقى هناك فى الجزء المظلم من الحظيرة .. والآن ها قد انتهيت .. هيا جاء دورك ..

تقدم صاحب (سامى) إثر هذه الكلمات ناحية المنضدة التى تحمل فوقها جهاز الكمبيوتر وقبض عليها بإحكام ثم رفعها عن الأرض ببطء حتى تأكد منها فسمع (سامى) محذرًا :

ــ احترس... هل من مساعدة ؟

لكنه قال بلهجة آمرة ..

ــ ابتعد أنت ، إنها خفيفة ..

وواصل سيره ناحية باب الحظيرة حيث وضع الجهاز أمام الباب .. وابتعدا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وهكذا انتهت أوامر د/ فايز فانتظـرا بضـع دقائق متوقعين ظهور الدكتور ، لكن شيئًا لم يحدث ..

مقياس الزمن يختلف حين يكون الإنسان على هذا القدر العالى من التوتر ..

تمامًا كاللحظات البسيطة التى ينتظر فيها الطالب دخوله امتحان الشفوى ..

لذلك فقد صاح (سامى) :

ـ ما هذا ؟.. هل سنقضى الليلة منتظرين .. تبًا للدكتور فـ ... لكن (سامى) أشار له بيده أن يصمت واتجه فى بطء ناحية الحظيرة المظلمة .. مرهفًا السمع وقائلاً فى صوت خفيض :

ـ هل تسمع هذا ؟..

حاول صاحب (سامى) أن يسمع بدوره وقد اقتربا من الحظيرة المظلمة .. حتى كاد سامى أن يلاصق بوجهه أسلاك الحظيرة ؛ فى محاولة لاختراق الظلام ورؤية مصدر الصوت ..

ولقد تراجع (سامى) فى عنف وهز رأسه بشدة فأصاب صاحبه الفزع من تلك الحركة المفاجئة .. وصاح به :

ـ ماذا هناك ؟

لكن (سامى) راح يمسح وجهه فى حركات سريعة وهو يصيح :

ـ ما هذا ؟

وهنا رآى صاحب (سامى) السائل اللزج يلتصق بوجه وشعر سامى .. فاقترب منه .. وقـد نسيا الصوت القادم من الحظيرة والذى زاد حتى أصبح واضحًا ..

ـ هل هو ساخن ؟

ـ لا لكن ما هذا ؟ إنه لزج جدًا ...

مسح سامى وجهه بكمه وحاول أن يشم السائل ليعرف كنهه .. فقد فزع أول الأمر لاعتقاده أن هذا حامض أو قلوى قوى يخرج فى وجه من يلمس الحظيرة .. لكن رائحة السائل كانت قوية ومعروفة ..

ـ إنه عسل ..

ـ ماذا ؟!

ـ نعم .. تذوق .. إنه عسل أبيض .. لكن لماذا ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

وقبل أن يسترسل فى الحوار كان الصوت قد أضحى واضحًا ؛ فالتفتا ناحية الحظيرة مرة أخرى وقد ارتفعت أصوات طرقات تشبه الضرب بحزام جلدى سميك فوق أسلاك الحظيرة .. ولم يملكا وقتًا للتفكير فقد انخلع جانب كبير من الحظيرة ووقع على الأرض فى قوة دون أن يلمس جهاز الكمبيوتر والمنضدة ..

كى يواجها سويًا حيوانًا ضخمًا لا تظهر ملامحه جيدًا فى الجزء المظلم ..

ويقفز بسرعة مقتربًا منهما فيكاد الشابان يفقدان الوعى من هول المنظر ..

20 ـ كان الواقف أمامهما ..

كان الواقف أمامهما حيوانًا ضخمًا فى حجم البقرة الكبيرة .. لكن اختلافات جوهرية كانت تميزه عن البقرة ..

فالرأس متحور كالقرطاس والبطن عظيمة جدًا ، بينما الأقدام الأمامية قصيرة مقارنة بالخلفية ، وذيل طويل يتحرك فى بطء كثعبان متوتر.. ثم كشف عن أسنان قاطعة ..

فهمس سامى :

ـ فأر عملاق !!.. أعوذ بالله ..

كان جسد الحيوان الأسود، ذو الشعر الكثيف مغطى بالكثير من السائل اللزج حتى إن آثار أقدام الحيوان كانت شبه مرسومة على الأرض بذلك السائل .. الذى يبدو أنه يضايق الحيوان نفسه .. لأنه ثنى رأسه للأمام وهبط بها للأرض وراح يمرغ رأسه فى أرضية الساحة النظيفة ..

انتهز سامى وصاحبه هذه الفرصة ، فابتعدا عن الحيوان لاصقين ظهريهما بالحائط ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وحين اقتربا من الحظيرة جرى صاحب (سامى) نحو الفتحة التى تركها الحيوان .. ولم يستمع لتحذير (سامى) الذى هتف :

ــ انتظر .. ماذا لو كان هناك المزيد ؟

فقد اندفع الحيوان ناحيته وبنطحة واحدة كان الشاب يطير فى الهواء حقيقة لا مجازًا .. ويرتطم بالجدار فى قوة ثم يهوى على الأرض ولولا قــوة بنيانه ومرونة أوتاره لكانت بضع عظام تهشمت فى حركة كهذه ..

لذا فقد اعتدل مواجهًا الحيوان وصائحًا :

ــ تهاجمنى من الخلف أيها القذر ؟

وهم بالاشتباك به فى معركة غير متكافئة بالطبع .. لولا أن صاح سامى :

ــ من هنا..

.. الباب من هنا ..

فالتفت الشاب والحيوان فى نفس الوقت كى يجدا (سامى) قد

اندفع من البــاب وبدون تفكير اندفع خلفه صاحبه حتى إنه لم يفكر كيف ظهر هذا المخرج ..

لكن الحيوان اشترك معهما فى نفس الفكرة ..

لقد انطلق فى إثرهما وحشر نفسه حشرًا خلال الباب ..

.....

ما إن عبر سامى وصاحبه الباب حتى وجدا أمامهما سيارة الدكتور فايز داخل مكان صغير أشبه بجراج صمم من أجل سيارة واحدة وبسرعة دارت عين الشابين فى الغرفة كى يجدا بابًا واحدًا نصف مغلق من النوع المعدنى الدوار الذى يفتح لأعلى ويقفل بالشد لأسفل ..

فاتجها نحوه وفى سرعة عبرا من أسفله .. ثم دارت أعينهما مرة أخرى حيث وجدا نفسيهما فى جراج آخر أكبر .. به ثلاث سيارات ، ودون تفكير اتجها ناحية الباب الذى كان مفتوحًا هذه المــرة وقد ظهــر من خلاله سور غير عالٍ ومن خلفه ظهرت الأدوار الأرضية للبنايات المجاورة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

اندفع الشابان من فتحة الجراج .. وصعدا المنزلق المؤدى لبوابة كبيرة تصل السور متوسط الارتفاع المحيط بالبناية الفاخرة ..

كانت البوابة مغلقة فقفزا بسرعة أعلى السور .. أما داخل الجراج فقد كان الحيوان فى هذه اللحظة يحاول المرور بجسده الضخم وحركاته المتوترة من خلال السيارات الثلاث ، وفى إحدى حركاته تنقلب سيارة ويتحطم زجاجها الخلفى ويسيل البنزين بشراهة من الخزان ..

وهنا فقط يهدأ الحيوان قليلاً حين يرى من منظوره الشابين وقد اختفيا خلف السور .. فيقف لحظات مراقبًا الجزء الذى قفزا عنده ..

وقبل أن يهم بالعودة يجد بواب البناية يقترب من الجراج فيعود للخلف فى هدوء .. محاولاً عدم الاصطدام بالسيارات ..

لكن البواب يواصل تقدمه فى شجاعة فلاح يعتقد أن ما يراه هو بقرة سوداء أحضرها أحد البـ .....

ويقع عود الثقاب قبل أن يكمل انطفاءه كى يلتقطه البنزين الوافر ويسير خط اللهب بنعومة كى يصل لأقرب سيارة ويستقر عندها قليلاً كى ترتفع درجة حرارة الجزء الخلفى الحد الذى يثير كمية البنزين الكبيرة المضغوطة داخل خزان السيارة فتصل لدرجة الانفجار .. فى اللحظـة التى يتجـاوز فيها البواب بوابة البناية فتشكل درعًا واقيًا له ..

Looloo
www.looloolibrary.com

21 ـ الوجبة الأولى ..ـ

جرى الشابان بأقصى سرعة تسمح بها أقدامهما وحين تأكدا أن شيئًا لا يتبعهما هدآ قليلاً .. ثم تطلعا إلى الشارع الذى يجريان فيه وكأنهما غير مصدقين أنهما الآن خارج المعمل ، يسيران فى شارع على جانبيه بنايات أضيئت أنوار العديد من الشقق فيها دليلاً على وجـود بشر مثلنا .. ثمة بضع سيارات مركونة بمحاذاة الرصيف لكن الشارع خلا من الصنف الآدمى ..

وفجأة سمعا انفجارًا مكتومًا وحين شاهدوا ألسنة اللهب السوداء آتية من الجراج الذى غادراه للتو .. أسرعا الخطوات مرة أخرى حتى وصلوا نهاية الشارع ..

ولحظهما وجـدا نهاية الشـارع تؤدى إلى خط ترام فسارا بمحاذاته إلى أن وصلا إلى المحطة ، فجلسا بجانب أربعة أشخاص آخرين منهم واحد فضل الانتظار واقفًا ..

وكأنهما يشيران إلى الحيوان الذى هاجمهما منذ قليل قائلين :

ـ لا تحاول فمعنا آخرون هذه المرة ..

وفى الترام كان صاحب سامى يكرر سؤاله للمرة الثالثة :

ـ ما هذا الشىء ؟

فيجيبه سامى هذه المرة :

ـ هذا هو ما أرادنا د/فايز من أجله .. أنا لا أعرف كُنه التجارب التى يقوم بها هذا المخبول .. لكنى لم أكن أتخيل أبدًا أن تصل حقارته لهذا الحد ..

رد صاحب سامى بأن هز رأسه علامة الموافقة ..

واصل سامى وقد خفض صوته قليلاً حتى كاد لا يظهر من بين ضوضاء الترام :

ـ يريد أن يجعلنا طعامًا لهذا الشىء ..

ـ الحقير ..

قالها صـاحب سامى بلهجـة غاضبة فى صـوت خفيض كى لا يُسْمِع هؤلاء الجالسين من الصنف الآدمى رغم قلتهم وبعدهم عن مقعده .. فبدت طريقة إخراجه للحروف مضحكة ..

أما سامى فواصل وكأنه يحادث نفسه :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لكن ما هذا الشيء أساسًا ؟!

ـ إنه فأر عملاق .. لقد كان شيئًا مقززًا للغاية .. خصوصًا ذيله المقرف ..

هز (سامى) رأسه هذه المرة موافقًا :

ـ نعم .. لقد كان أشبه بفأر كبير تغطيه طبقة خفيفة من سائل لزج كأنها عسل ، وهنا مسح صاحب سامى على كتفه متذكرًا المنطقة التى احتكت بالحيوان كى يجد أنها (ملزقة) فيقرب كفه من أنفه ويقول :

ـ على الأقل رائحته ليست كريهة .. أيمكن أن يكون (نابلم) ؟.. سمعت أنه شبيه بالعسل لونًا وقوامًا ..

ـ إنه أشبه بالسائل الجنينى الذى يحيط بالمولود .. وهذا يؤكد كلامى ..

نظر إليه صاحبه فى عدم فهم .. فواصل حديثه :

ـ لقد أجرى د/فايز تجاربه الغامضة على هذا الفأر أو الشيء أيًا كان ويبدو لى أنه خرج من شرنقة أو من بيضة وهذا هو تفسير السائل اللزج ..

ـ تعنى أن هذا الشيء كان خارجا لتوه من بيضة ؟!

ـ أعتقد ذلك ...

ـ لكن الفئران تلد ..

ـ وهل ما رأيناه فأر ؟؟! ... وماذا يفعل أى كائن أول ما يولد ؟

ـ يبكى..

قالها صاحب (سامى) فى تلقائية .. فتابع سامى فى شيء من نفاد الصبر :

ـ ولماذا يبكى؟

ـ لأنه ...

قاطعه سامى قبل أن يكمل تفسيره قائلاً :

ـ لأنه جوعان .. وأول شيء يفعله بعد التنفس هو .. الأكل

ـ ولا توجد وجبة أفضل من شاب موفور الصحة مثلى ...

قالها صاحب سامى وعينه تدور فى محجره وهو يتخيل نفسه بين أسنان ذلك الشيء ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ وربما ظلمنا الدكتور / فايز ..

نطقها سامى فى هدوء .. جعل صاحبه يسأل مستنكرًا :

ـ كيف ؟!!

ـ ربما كان هو نفسه الوجبة الأولى لذلك الشىء ..

22 ـ عميد الكلية ..ـ

عميد الكلية يسير فى خطوات شبه سريعة لكنها لا تخلو من وقار، بجواره أستاذ دكتور / عدلى منصف.. والسكرتير يحمل له حقيبته وثلاثة معيدين لابد أن لهم طلبات هامة .. ودكتور آخر لا نعرفه ..

ـ هل أصابه مكروه يا (عدلى) ؟

ـ لا أستطيع أن أؤكد سلامته يا دكتور .. ولكنى لا أستبعد أنه مصاب وربما بشدة ..

ـ لا تستطيع .. ولا تستبعد.. ما هذا يا عدلى ؟

ألم تره حين ذهبت لزيارته ؟

ـ لا يا سيدى .. حين ذهبت أنا وبعض الزملاء .. استقبلنا أخوه وأبناؤه الصغار وأحسنوا ضيافتنا .. حتى إنى أتساءل متى أعدوا كل هذا الطعام ؟!!

وقبل أن يسأل سيادة العميد فى غضب هذه المرة كان د/عدلى

Looloo
www.looloolibrary.com

يكمل بسرعة :

ـ ثم اعتذروا بأنه متعب ولا يستطيع مقابلة أحد .. بناء على طلبه هو ..

ـ إذن فهو حى يرزق ... لا بأس.. سأعتبره فى إجازة .. ألم يعرفوا سبب هذه الحادثة بعد ؟

كان سيادة العميد ينعطف فى هذه اللحظة كى يعبر الممر الطويل الواصل إلى مكتبه الخاص فى موكبه الصغير ..

حين قال د/عدلى فى تردد :

ـ يقولون أن ماسًا كهربائيًا حدث فى الجراج أدى لانقطاع الكهرباء بالمنطقة هو المسئول عن ما حدث ..

قال العميد فى لهجة غير المقتنع :

ـ ماس كهربائى !!... كنت أعرف مدير مصنع ملابس ضخم ، ذمته أوسع من المصنع .. مع نهاية السنة المالية وموعد إجراء الجرد السنوى الشامل .. يحدث ماس كهربائى

يحرق الملابس المخزنة .. وبالتالى .. أى عجز فى الميزانية يكون ؟؟

وسكت العميد فأجاب د/ عدلى :

ـ يكون .. احترق يا باشا ..

... ولم يستسغ العميد الكلمة الأخيرة لكنه لم يعلق ..

Looloo
www.looloolibrary.com

23 ـ مرت ثلاثة أيام ..ـ

مرت ثلاثة أيام بعد هروب الفتيان من ذلك المكان .. وطبعًا لم يحتاجا لكثير من الذكاء كى يميزا موقع البناية من المحطة التى ركبا عندها .. وأن يتأكدا أن هذا المكان هو البناية الخاصة بالدكتور/ فايز خاصة وقد جاء خبر انفجار جراج البناية بعد انقطاع الكهرباء فى الصحف ....

جلس الطلاب بقاعة المحاضرات الكبيرة فى انتظار قدوم المحاضر الذى لم يأت منذ ثلاثة أيام على غير المعتاد ..

ـ لماذا لم يأت فى الأيام السابقة ؟!

نطق صاحب سامى بالسؤال حيث كانا جالسين فى زحام الطلاب منتظرين المحاضرة .. على أحر من الجمر .... ؛ لأسباب عديدة لم يكن الانبهار بالدكتور / فايز إحداها بالطبع ..

نظر سامى إلى صاحبه وقال فى هدوء :

ـ الجميع هنا قلقون بعد خبر انفجار الجراج الخاص بعمارته ..

ـ سمعت أن بضعة أساتذة ذهبوا للاطمئنان عليه لكنهم لم يتمكنوا من مقابلته ..

سكتا قليلاً فواصل صاحب سامى :

ـ بالمناسبة لم تخبرنى كيف عثرت على ذلك المخرج ؟!!!

ـ بمجرد أن كشفت العصابة نظرت خلفى فلم أجد سوى ذلك الحائط .. إذن هذا هو المدخل ولقد علمته سريعًا بقلمى الذى أوقعته على الأرض بإرادتى لأنه يشبه باقى الجدران .. وحين أردنا الخروج حاولت فقط أن أدفعه فوجدته ينفتح بكل سهولة ..

سكت صاحب (سامى) وكأنه يعيد المشهد فى رأسه فتابع (سامى) :

ـ لو لم يأت اليوم أيضًا فسوف نقوم بزيارته ...

ـ ماذا ؟!!!!

صاح صاحب (سامى) بالعبارة فى استنكار ودهشة .. حتى إن بعض الطلاب من الجالسين نظروا إليه فى فضول .. فقام بتحريك رأسه ووزع بضع نظرات وقحة على الفضوليين كانت كفيلة بأن يعود كل منهم بنظره إلى ما كان عليه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم واصل فى صوت خفيض:

ــ اشرح لى أيها العبقرى .. ألم تكن فكرتك منذ البداية ؟

وهنا يرد سامى لأول مرة بشىء من الحدة :

ــ فكرتى ؟!.. آه أنا الذى أجبت الدكتور فايز قائلاً : (طبعًا ... نحن طوع أمرك يا دكتور) ... هه ؟ ألم يكن هذا ردك ؟

ــ ماذا تعنى ؟ هل جئت مجبرًا أم ماذا ؟

ــ لا ولكنى أيضًا لم أجبرك

ــ ليكن .. ولماذا هذا الانزعاج ؟ إن أعضاءنا كاملة على كل حال ..

ابتسم (سامى) فتابع صاحبه :

ــ اشرح لى ماذا تقصد بأن نزوره ؟

ــ أقصد أنه واجبنا الآن أن نعرف .. لن ننتظر حتى تأتى المعرفة وتدق بابنا .. يجب أن نبحث نحن .. إن عدم ظهور الرجل طوال هذه المدة يجعلنى أشك فى أنه بالفعل كان الوجبة الأولى ..

ــ لا أستسيغ هذا الكلام .. فلو أن ما تقوله صحيح .. إذن أين ذهب هذا الحيوان بعد أن تناول وجبته وحاول أن يحلى بنا ؟؟

ــ حاول أن يتبعنا ولسبب ما حدث الانفجار داخل الجراج والذى سمعنا صوته بوضوح حين بلغنا المحطة ..

ــ وربما قضى عليه تمامًا فى هذا الانفجار ..

ــ لذلك يجب أن نزوره .. بإرادتنا هذه المرة ..

ــ هذا إن لم يأت اليوم أيضًا ومر الوقت دون أن يظهر د/فايز فى الكلية لرابع يوم على التوالى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

24 ـ إن الدكتور يعتذر ..

إن الدكتور يعتذر ويؤكد لكما أنه بصحة جيدة وكان يود لو استطاع أن يراكما ..

نطق أخو الدكتور فايز الأصغر بالعبارة فى تهذيب شديد ..

لكن (سامى) وقف إثر هذه الكلمات معتبرًا أنها تعنى : بإمكانكما الانصراف الآن ، ولكن بأسلوب مهذب ..

أما صاحبه فقد قال فى لهجة عدائية :

ـ يعتذر !!.. إذن فهو مستيقظ ..

لكن أخا الدكتور فايز تجاهل اللهجة العدائية وأجابه بلهجة من تعلم كيف يكرم الضيف فقال وابتسامته تملأ وجهه :

ـ سيعود للكلية خلال أيام ـ بإذن الله ـ أما الآن فموعد الغذاء ..

وهنا تذكر الفتيان كلمة الدكتور فايز : أعدكما بالمزيد فما إن نطق الرجل بكلمة الغذاء .. حتى بدت رائحة الطعام واضحة ومغرية ولم تمر ثوانٍ إلا وقد أعدت المائدة .. وحاول الفتية

التملص من الغذاء فذكريات الطعام مع الدكتور/ فايز لم تكن سعيدة ..

لكنهما عجزا عن مجاراة أخيه الذى جلس بنفسه مشجعًا وأكل من الطعام كثيرًا كشأن الرجل الكريم الذى يشجع ضيفه على التهام الطعام كله ..

حين كان سامى وصاحبه على سلم البناية هابطين إلى الخارج .. كانت البطون ممتلئة والقلوب قد زال منها الكثير من التوتر وإن لم تجد عقولهما الإجابات الشافية ..

وحين اقتربا من البوابة الضخمة التى كانت مغلقة فى المرة السابقة نظرًا إلى الخلف ناحية الجراج ، الذى اختلف شكله فى النهار وإن بدا واضحًا أن نارًا هائلة اشتعلت فى هذا المكان وتمت محاولات لتنظيف آثارها ..

البواب غير موجود وأغلب الظن أنه يمارس هوايته اليومية فى النوم وربما كان يدخن وهو نائم أيضًا ..

الجراج مفتوح ونور الظهيرة يملؤه فى دعوة مغرية جدًا لاقتحامه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ ما رأيك ؟

نطقها سامى وهو يشير إلى باب الجراج .. فابتسم صاحبه قائلاً :

ـ فى المرة السابقة كدنا أن نكون وجبة العشاء .. أما الآن فحالنا أفضل ..

ثم أمسك بقضيب حديدى معقوف الطرف .. ربما يستخدم فى فتح وقفل باب الجراج .. وكأنه ممسك بسيف بتار وقال :

ـ معنا سلاح هذه المرة ..

وبالتأكيد لن نكون وجبة عشاء ..

سنكون وجبة الغذاء ..

ضحك الفتيان وانطلقا فى خفة كى يدخلا الجراج مرة أخرى .. ولكن بدون استئذان ..

وجد سامى وصاحبه الجراج خاليًا من السيارات هذه المرة فبدت مساحته أكبر من المرة السابقة ..

اتجها لفورهما ناحية الجراج الخاص الصغير ، الذى تستقر به

سيارة الدكتور / فايز والتى لم يصبها أى ضرر .. ثم أجفلا حين سمعا صوتًا مفاجئًا يقول :

ـ من أنتما ؟

كان عم جابر هو صاحب السؤال حيث جلس خلف السيارة الجديدة يفعل شيئًا ما .. ففوجئا به يظهر من وراء السيارة ويواجههما بالسؤال ..

ـ أنا سامى .. وصاحبى جئنا لمقابلة الدكتور/ فايز ..

ـ آه .. أستاذ/ سامى ... نعم إن الدكتور يتوقع حضوركما ..

ثم إنه أمسك بمقبض حديدى على شكل يد بشرية صغيرة ملتصق بالحائط .. وراح يدق به بشدة على الحائط ؛ فسمع الجميع صوت د/ فايز يسأل :

ـ ماذا يا جابر؟

ولم يدر الفتيان من أين يأتى الصوت بالتحديد لكن عم جابر تكلم كأنه يقف أمام الدكتور فايز قائلاً :

ـ الأستاذ (سامى) وصاحبه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أدخلهما فورًا ..

ففتح البواب نفس الباب الذى هربا منه من قبل والذى يبدو كجزء من الحائط بطريقة سريعة لم يتمكن معها الفتيان من معرفة ما فعله بالضبط ..

كى يجدا نفسهما فى نفس الساحة السابقة .. ثم دوى صوت غلق الباب خلفهما ، كى يجدا نفسهما مرة أخرى فى نفس الوضع ..

مع فارق جوهرى .. أن صاحب سامى يحمل فى يده هذه المرة .. قضيبًا حديديًّا معقوف الطرف ..

25 ـ وكأن الزمن يكرر نفسه :

وكأن الزمـــن يكرر نفســـه .. سمعا صوتًا يقترب قادمًا من الحظيرة حتى إن صاحب سامى قال مستنكرًا :

ـ ما هذا الغباء ؟ كيف نأتى بأقدامنا مرة أخرى ؟

وقبل أن يتلقى إجابة كان الدكتور/ فايز يخرج بنفسه من باب الحظيرة الذى دمره الحيوان من قبل ويبتسم فى فرح قائلاً :

ـ أهلاً يا أبطال .. يجب أن تفخرا بأنفسكما لقد شهدتما معى مولد أعظم اكتشافات القرن .. بل إنها انقلاب فى مفاهيم العلوم تمامًا ..

ولم يعطهما الفرصة كى يتكلما كثيرًا ...

فقد أشار لهما أن يتبعاه وهما بدورهما كانا فى أشد الشغف لمعرفة ما يوجد خلف هذا الظلام ..

بتلك الحظيرة ..

ـ أتذكرا نظرية اختزال العلوم ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم راح يقص عليهما مستعيدًا بذهنه المشهد .. فى شىءٍ من الاستمتاع ..

حين كان يقول :..... وفى هدوء تضعهما أمام الحظيرة ..

ــ فقط ؟

فيقول وهو متجه إلى باب الحظيرة :

ــ فقط ؟

ثم يدلف فى هدوء ويمسك بستارة ثقيلة أشبه بحاجز أسود فيشدها وراءه كى يبدو لأقوياء النظر وكأن الظلام قد ابتلعه تمامًا .. وفى الجزء الصغير حالك الظلمة والذى يفصل بين الستارة السوداء وحائط الحظيرة يتحسس بيده الحائط وعند جزء بارز يضغط عليه كى ينكشف عن قاعة فى حجم الأولى مرة ونصف تقريبًا لكنها مختلفة تمامًا ..

بارتفاع الحائط تضرب الإضاءة وجه الدكتور / فايز مع صوت ضجيج خفيف لعشرات الأجهزة المنتظرة ..

الستارة السوداء مصنوعة من مادة خاصة عازلة تمامًا للصوت والضوء وفى الحقيقة كان المعمل بأكمله مغلفًا بمادة

الستارة فيما عدا الأجزاء التى تدخل منها أنابيب التغذية والتهوية والصرف ..

.....

فى بساطة مد يده إلى بضعة أزرار وكأنه قد ضبط كل شىء من قبل .. لأنه لم يستغرق أكثر من دقيقة فى وضع عدة أوامر .. والتأكد النهائى من بضعة وصلات ثم نظر إلى الحوض الزجاجى الكبير الأشبه بتابوت شفاف ملىء بالسائل اللزج ..

غمس د/ فايز إصبعه فى السائل ثم لعقه قائلاً :

ــ فيه شفاء للناس ..

ثمة أنبوبة شفافة ذات قطر لا يتجاوز ربع متر مربع تصل بين الحوض الزجاجى الكبير وآخر يشبهه بالضبط لكنه نسخة مصغرة ....

وعند الطرف الآخر لهذا الحوض الصغير يوجد حوض آخر بنفس مواصفات الأول ..

امتدت يده فى ثقة إلى الفأر الذى وضع فى قفص صغير ملون بلون مميز وحمله فى هدوء فلم تند عن الفأر أية حركة وكأنه

Looloo
www.looloolibrary.com

أخذ مخدرًا من قبل .. أو إنه اعتاد تجارب صاحبه عليه ..

فابتسم د/ فايز قائلاً :

ـ ستدخل التاريخ يا (شامخ)..

وكأن (شامخ) الفأر يفهم لغة سيده فقد هز رأسه هزة بسيطة كمن يقول : هذا شرف لى ..

وفى بساطة أغرقه فى الحوض الصغير فانتفض الفأر من المفاجأة وحاول عبثًا الوصول إلى السطح .. لكن محاولاته كانت تجعله يغرق أكثر..

خلع الدكتور / فايز بعض ملابسه واتجه فى خطوات ثابتة نحو الجهاز وعند الجهاز كان مؤشر صغير يدور بانتظام وكأنه ساعة موقوتة ما إن وصل إلى الصفر حتى بدأ الجهاز العمل ..

26 ـ شرح لهما ..

شرح لهما د/ فايز أن الجهاز الآخر الذى قاما بتشغيله عبارة عن وحدة تحكم احتياطية متصلة لاسلكيًا بالأجهزة داخل المعمل وأنه افترض حدوث مثل هذه المشاكل وأن يحدث خلل ما فى وحدة تحكم الجهاز الرئيسى داخل المعمل وساعتها يجىء دور الجهاز الاحتياطى الذى قام سامى بتشغيله ثم لابد من تقريبه من جدار المعمل كى تتصل أوامره لاسلكيًا عبر الحائط العازل ..

أشار د/ فايز إلى كاميرا مثبتة بأحد الأركان قائلاً :

ـ هذه سجلت التفاصيل ..

ثم قام بتشغيل شريط فظهرت ـ على شاشة متوسطة الحجم ـ صورة كاملة للمعمل بأجهزته شبه مماثلة لصورة المعمل الحالية ..

كان المعمل خاويًا من الصنف الآدمى ..

إلى أن دخل د/ فايز وكأن الحائط قد انشق عنه ..

ضغط على عدة أزرار ثم وضع إصبعه فى الحوض وتذوقه ثم وضع الفأر فى الحوض الصغير ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وفجأة قفزت الصورة أمامهم إلى مشهد الفأر الضخم وهو غارق تمامًا داخل حوض التكوين .. فهتف صاحب سامى :

ــ هناك جزء مبتور من التسجيل ..

أوقف الدكتور / فايز الشريط قائلاً :

ــ نعم .. فى هذا الجزء قمت أنا بخلع ملابسى والنزول فى الحوض الكبير ..

ــ ولماذا حذفت هذه الأجزاء؟!

ــ لماذا ؟!! أقول لكما خلعت ملابسى .. ثمة مشاهد لا يمكن عرضها ..

أعاد د/ فايز تشغيل الشريط قائلاً :

ــ وهكذا أخذ الجسد البشرى صفات الفأر كاملة ولكن بحجم الرجل البالغ ..

.. واصل د/ فايز وصفه فى حماس :

ــ وكالمولود الخارج لتوه من رحم أمه .. خرج الفأر مذعورًا لأن كثافة العسل عالية تعوق بشدة الفأر ذا المرونة الكبيرة ..

بدا الفأر فى هذه اللحظة وهو يضرب برأسه الأرض ..

ــ أراد أن يتخلص من العسل حول عينيه كى يتمكن من الرؤية ولم يكن يقدر قوته ولا سرعته الحقيقية ..

بحركة سريعة كان الحيوان عند الحائط المؤدى للحظيرة حيث يقبع الفتيان ..

ــ ثمة حركات متوترة لا يقصدها فهى حركات لا إرادية .. كانت الرؤية بالنسبة له غير واضحة لكنه كان حساسًا جدًا للإضاءة والأصوات ..

كان الفأر الكبير يدور حول نفسه فى حركات توحى بالمعاناة الكبيرة ..

ــ ثمة آلام فى أنحاء الجسم وعجز عن الرؤية الواضحة وحركات متوترة يقوم بها بشكل لا إرادى وفى إحداها..

ثم سكت د/ فايز فنرى الفأر على الشاشة وقد هرول مسرعًا كى يرتطم بالحائط ويختفى من المعمل ..

توقع الفتيان أن الشريط قد انتهى لكنهما لدهشتهما وجدا صورة أخرى بدت واضحة لهما حين دمر الفأر جانب الحظيرة

Looloo www.looloolibrary.com

وأصبح بينهما .. فواصل د/ فايز شرحه :

ـ لم يكن هذا فى خطة الفأر بالطبع .. لقد أفاق من حركاته المتوترة كى يجدكما أمامه .. لكن الرؤية لم تتضح لعينه بعد ..

وأشار إليه وهو يمرغ رأسه فى الأرض

متابعًا :

ـ ما زال يحاول التخلص من العسل الذى زاد فى استثارته .. لكنه بدأ يستوعب الأمور حين أصبحت الرؤية واضحة إلى حد كبير وأن وجوده بينكما خطأ فادح .. أراد أن يطمئنكم.. لكن كيف ؟.. ثم وجد أحدكما يجرى ناحية الحظيرة .. فأراد ببساطة أن يضع يده على كتفه ليقول له برفق : لا تفعل .. سأدخل أنا وسيكون كل شىء على ما يرام .. لكنه لم يقدر سرعته ولا قوته الحقيقية لذا جاءت الحركة كصدمة كبيرة أطاحت بالفتى .. كان صاحب سامى فى هذه اللحظة يطير فى الهواء ويرتطم بالحائط ..

تابع د/ فايز:

ـ وحين خرجتم أراد أن يتبعكم كى يطمئنكم أيضًا فهو

لا يعرف كيف أن شكله شنيع .. فزادكم هذا فزعًا .. وحين خرج إلى الجراج الكبير كانت كل حركة بسيطة ينتج عنها كارثة ..

واصل د/ فايز وقد أصبح مدخل المعمل خاليًا على الشاشة ..

ـ حين يحاول تفادى السيارة يرتطم بالأخرى فيقلبها وكأنها من الورق المقوى .. فيتبعثر البنزين منها على أرض الجراج وحين تأكد من فراركما وقرر العودة كانت حركاته اللاإرادية مازالت مسيطرة عليه إلى حد كبير فحين رأى الحائط الجيرى لم يتمكن من منع نفسه من قرضه قليلاً .. وحين رأى البواب قادمًا لم يتوقع أن يفزع لرؤيته فحاول أن يتحكم فى حركاته ويهدأ ... لربما ينصرف البواب دون أن يراه ، لكن البواب أصر على التقدم وحين أخرج عود الثقاب أدرك أن كارثة ستقع ؛ فاتجه بسرعة عائدًا إلى الجراج الخاص ومنه إلى ساحة المعمل الخارجية ..

وهنا ظهرت صورة الفأر وهو يحشر نفسه للدخول إلى الساحة مرة أخرى وانتهى الشريط ..

ـ ولقد تركت الباب مفتوحًا بحيث ـ لا قدر الله ـ لو حدثت مشاكل بإمكانكما بقليل من الجهد مغادرة المكان .. وهو ما حدث .

ـ لكنك أفزعتنا يا د/ فايز

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ هذا ما لم أكن أقصده واحمدوا الله أن الجهاز الآخر الذى قمتم بتشغيله لم يصب بأذى فى ذلك الهجوم وإلا أصبحت مشكلة حقيقية ..

ـ يجب أن أعتذر فقد نعتك ببعض الصفات .. بعد أن هربنا ..

ـ لا عليك .. لو كنت مكانك لقلت أكثر ..

تحرك (سامى) فى انبهار بين أجزاء المعمل وراحت عينه تقلب الأجهزة والأدوات ثم توقف عند حوض التكوين ..

وسأل فجأة :

ـ لماذا العسل بالتحديد ؟

ـ لأن العسل هو المادة الوحيدة التى تحافظ على بقايا الجسد المتحور . فالتوتر السطحى العالى لجزيئات العسل يمنع الخلايا الحية من التعرض لأى مؤثر ضار خلال هذه العملية بشرط أن لا يكون العسل مغشوشًا ..

ـ أشعر برغبة عارمة فى إجراء التجارب ... إن معملاً بهذه الإمكانيات يفجر فى الإنسان طاقته الإبداعية ..

أكد د/ فايز كلام (سامى) قائلاً :

ـ ولهذا يجب أن تحتوى المدارس على معامل مجهزة .. لن أقول مثل هذا طبعًا .. ولكن بالقدر الذى يتيح للطالب حرية التجريب والإبداع ..

نظر صاحب سامى إلى الأجهزة فى جشع قائلاً :

ـ أما أنا فأشعر برغبة عارمة فى الإمساك بهذا القضيب ..

مشيرًا إلى قضيب معدنى أطول من الذى يمسكه بالفعل وله بريق معدنى .. ربما يستخدمه الدكتور / فايز فى تقليب وصفاته فى قدر كبير كما يفعل سحرة العصور المظلمة .. ربما ..

نظر إليه د / فايز فى استنكار فواصل :

ـ ثم أطيح به ضربًا فوق هذه الدوارق وتكسيرًا لهذه الأجهزة ..

إن معملاً رائعًا كهذا لا يستغرق فى يدى سوى .. ونظر إلى السقف مفكرًا :

ـ سوى سبع دقائق .. وأضمن لكم بعدها أن أسويه بالأرض ..

لم يملك د/ فايز وسامى سوى أن يبتسما وأشار سامى إلى حوض زجاجى به كمية كبيرة من العسل قائلاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ هذا هو حوض التكوين .. أليس كذلك ؟

ــ أجل .. وهذا هو الفأر الذى أفزعكم ..

نظرًا سويًا إلى فأر صغير موضوع بعناية فى حظيرة منفصلة عن باقى الحظائر بلون مميز وكأنه ملك الفئران غير المتوج ..

ــ لكن ما فهمته أن هذا الفأر الكبير كان أنت بعد خروجك من حوض التكوين ..

ابتسم د/ فايز كعادته حين لا يحب أن يجيب إجابة واضحة قائلاً :

ــ هذه هى الصفات التى أفزعتكم ..

ثم استطعت خلال الفترة الماضية أن أحل مشكلة الحجم بل وقمت بعدة محاولات ناجحة ..

.. لم يفهم الفتيان بالضبط ما يقصده د/ فايز .. وهم سامى أن يستزيد لولا سؤال صاحبه :

ــ لكن لماذا نحن ؟ لماذا لم تستعن بأحد أبنائك أو أقاربك مثلاً ؟

ــ لأن أبنائى كلهم أطفال لم أطلعهم على مكان المعمل حتى الآن .. أما إخوتى وباقى الأقارب فلا أعرف فيهم من يجيد التعامل مع الأجهزة مثلكما ..

ــ وماذا عن زملائك ؟.. نعلم جميعًا أن د/ عدلى هو صديقك الأثير ..

ــ عدلى ....

وتنهد قائلاً :

ــ يا له من رجل ....

ــ واكتفى بهذا التعبير .

كما توسمت فيكما الذكاء وحب المغامرة ..

وبالمناسبة .. هل أخبرتما أحدًا بما حدث هنا ؟

أجابا بسرعة :

ــ لا لم نخبر أحدًا ..

ــ إذن فقد صدق حدسى .. يمكننى الاعتماد عليكما دون الخوف من كشف بعض الأسرار والتفاخر أمام باقى الزملاء أنكم

Looloo
www.looloolibrary.com

قمتم بكذا وكذا فى المعمل الخاص .. بالدكتور/ فايز .. إن ثقتى فيكم كانت فى محلها ..

لكن والأهم أنا أحتاجكم الآن للمزيد من التجارب .. تألقت عينا (سامى) ، بينما قطب صاحبه جبينه مستفهما فتابع د/ فايز :

ــ لقد وعدتكم بالمغامرة أيها الفتية .. صدقونى .. إن الإثارة لم تبدأ بعد ..

ــ أما أنا فأرفض أن أكون فأر تجارب ..

ــ بصراحة لقد خيبت أملى .. كنت أظن أن التردد سيكون من نصيب (سامى) .. وأنك ستكون متحمسًا جدًا للتجربة .. لكن تبين لى العكس ..

ــ طبعًا يا دكتور .. إن عمر الإنسان وصحته مسئولية كبيرة ..

ــ ومن قال إنى سأعبث بعمرك أو صحتك ؟ أنا لن أجرب فيك شيئًا ــ يا بنى ــ إلا إذا تأكدت تمامًا أنه آمن ..

ــ هل تضمن لى 100% أن جسدى بعد الخروج من حوض تكوينك هذا للمرة الثانية سيكون هو .. هو .. قبل دخولى ؟؟

تدخل (سامى) مدافعًا :

ــ لا يوجد فى العلم شىء اسمه 100% .. دائمًا هناك احتمال الخطر ولو بنسبة واحد فى المليون .

ــ وأنا هذا الواحد .. شكرًا يا دكتور ..

ــ أما أنا فأضع نفسى كاملاً تحت أمرك يا دكتور فايز ، بشرط أن تكشف لى المزيد من أسرارك ..

ابتسم د/ فايز مجيبًا :

ــ لكل شىء ثمن .. والعلم أغلى بضاعة ..

ــ وأنا أبيعك نفسى مقابل العلم .

صاح صاحب سامى :

ــ ما هذا ؟!! كأنى بمشهد من فيلم أسطورى يبيع فيه البطل روحه للشيطان مقابل اكتساب قدرات خارقة ..

ــ الشيطان !!... يالك من فتى مهذب ..

ــ آسف يا دكتور ، لم أقصدك بالتحديد .. لكن اعذرنى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ ومع ذلك فأنت معنا .. لسوف نحتاج لهذه العضلات لا شك ..

أراكم غدًا فى مثل هذا التوقيت لنبدأ معًا المهمة الأولى ..

27 ـ د. عدلى :

جاء الفتية فى الموعد وفى شغف أقبلا على الدكتور/ فايز الذى فاجأهما قائلاً :

أصبحنا الآن فريقًا .. وبالتالى من واجبى أن أعلمكم الحقائق كاملة ..

ـ حقائق ؟!!.. ماذا تعنى يا سيدى ؟

ـ لقد اشترك معى د/ عدلى فى التجربة التى حضرتموها ..

ـ من؟

ـ د/عدلى ؟

ـ كيف ؟

ـ لقد سارع الرجل لعرض مساعدته .. وكنت محتاجًا لها بالفعل ..

ـ لكنه لم يظهر بشريط التسجيل ..

ـ ثمة أجزاء مقطوعة ظهر هو فيها ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ وهناك أمر آخر ..

ـ أتمنى أن تنتهى الحقائق الجديدة اليوم ..

ـ شىء أخير ... لقد استنتجتم أن الفأر الكبير .. كان أنا .. بعد الولادة الجديدة ؟

ـ ماذا ؟ ألم يكن أنت بعد خروجك من حوض التكوين ؟

ـ لا .. كان هو .. صديقى العزيز .. د / عدلى ..

كان للعبارة الأخيرة وقع صادم على الفتيان .. فأما سامى فقال بانفعال :

ـ أتعنى أن الفأر الذى هاجمنا وأحدث هذا الدمار هو د/ عدلى ؟!

أجاب د/فايز بهزة مؤكدة من رأسه ..

ـ أين كنت أنت إذن ؟ ماذا حدث بالضبط ؟..

ـ لكن لا تخفى جزءًا هذه المرة .

نظر د/فايز إلى أنحاء المعمل قائلاً كمن يتذكر :

ـ كنت بالداخل كما رأيتمونى ..

لكن صاحب سامى قاطعه هذه المرة :

ـ أرجوك لا أريد هـذه اللهجة الحالمة .. وتتحدث كأن كل شىء على ما يرام .. أخبرنا بالحقيقة هذه المرة .. وإلا أقسم أن لا أدخل لك معملاً بعد اليوم ..

ـ اهدأ .. فالدكتور فايز له أسباب وجيهة لعدم إخبارنا من قبل .. وسوف يعلمنا بها الآن ...أليس كذلك يا دكتور ؟

ـ فى الحقيقة .. أجل .. كان السبب أن (عدلى) نفسه أقسم عَلَىَّ أن لا أخبر أحدًا باشتراكه معى .. ولم يكن ترتيب الأحداث كالتالى ، وإنما كان المفترض أن أقوم أنا نفسى بالتجربة لكن حين قمت بخلع بعض ملابسى .. استوقفنى (عدلى) مستنكرًا ، وأصر أن يكون هو مكانى ..

لم أوافق طبعًا .. فأنا لن أجعل من صديقى الحميم فأر تجارب ، لكنه أصر متعللاً أنه فى حالة حدوث خلل ما سوف أتمكن أنا من التعامل وإعادته ، أما لو كـان هو بالخـارج فلن يستطيع التصرف .. وفى جميع الأحوال هناك فتية يمكن الاعتماد عليهم ينتظرون بالخارج ..

ـ تعنى .. نحن الاثنين ؟

ـ بالطبع .. وهما على القـدر المناسب من الذكاء لتشغيل

Looloo
www.looloolibrary.com

وحدة التحكم الاحتياطية متبعين تعليماتى حرفيًا ..

ــ أتعنى أن هــذه كانت وحدة إحتياطية بالفعــل ، أم مجرد وسيلة لإيهامنا بالاشتراك فى التجربة ؟

ــ لا يا عزيزى .. إنها بالفعل وحدة احتياطية كان لابد من وجودها فقد أسفرت التجربة عن طاقة هائلة .. أصابتنى كما تلاحظون بحروق خفيفة من الدرجة الأولى ..

وهنا لاحظ الفتية لأول مرة الاحمرار البسيط فى وجه وذراع د/فايز وكأنه قادم من مصيف ..

ــ حتى إنى فقدت وعيى لدقائق من هذه الصدمة التى صاحبتها صرخة هائلة .. وحين أفقت وجدت الفوضى الكبيرة والكهرباء مقطوعة لولا مولد احتياطى أخيــر ظل يعمــل لحدثت مشكلة كبيرة ..

وحين خرجت بسرعة وراءه لم أجدكما ورأيته بالجراج يقف أمام (جابر) ، الذى فر هاربًا فأمسكته من شعر رأسه دون خوف لعلمى أن عقله وتفكيره وإدراكه هو د/عدلى ... استجاب بسهولة وعدنا للمعمل وقد تأكدت من صحة إدخالك للشفرة التى بدأت العمل بالفعل ... ثم أعدت (عدلى) لحوض التكوين كى يعود

لطبيعته .. بصحبة صرخة عظيمة ، لكنه خرج هادئًا مبتسمًا ومشيرًا أن كارثة ستقع فى الخارج لأن (جابر) أشعل الثقاب فوق البنزين ، أجبته أن المهم الآن صحته .. وسألته بماذا تشعر وللاطمئنان على معدلاته الحيوية كلها أخذته بسرعة إلى مستشفى صديقى الدكتور/ فخــرى وفى طريقنا مررنا بالجراج وسط مخلفات الانفجار الذى دمر سيارتى ومدخل البناية وبعض أجزاء مشتعلة رغم المياه التى تغرق الأرض .. أشرت لجابر ــ الذى عاد من خلف البوابة مسرعًا بعد أن هدأت النار ــ أن لا يتكلم مع أى شخص كأنه لم ير أى شىء غريب الليلة ...

أجرى د/ فخرى فحوصات شاملة وأشعة مقطعية على المخ بناء على طلبى أسفرت عن أن (عدلى) ببساطة سليم تمامًا ولا يعانى من شىء .. وبالعكس .. كان انزعاج د/ عدلى على حالتى أنا حيث بدوت مرهقًا محمر البشرة .. وصلته بعدها لمنزله وعدت وحيدًا فى سيارة أجرة كى أرى زحامًا أمام البناية فأهبط على مقربة منها وأعود إليها فى هدوء مجيبًا على أسئلة الضابط ومستفسرًا بدورى كأنى لم أر شيئًا .. ولم أتهم أحدًا بالطبع حتى بعــد أن شهد أحــد المارة عند ناصية الشارع أنه شاهد ظلين يقفزان هاربين مــن ســور البناية قبل سماع صوت الانفجار بدقائق ..

Looloo
www.looloolibrary.com

قال صاحب سامى بسخرية :

ــ إن أفضالك تغرقنا يا د/ فايز

أما (سامى) فسأل مستوضحًا :

ــ ولم يرك أحد وأنت خارج من البناية بصحبة د/عدلى بعد الانفجار مباشرة ؟

ــ لا ، لحسن الحظ .. المنطقة هادئة والبوابون دائمًا مشغولون بالدخان والنوم وإلا كان على أن أفسر ما حدث طبعًا لولا وجود نظام تأمين ضد الحرائق على مستوى عالٍ فى الجراج وباقى البناية لالتهمت النيران البناية كلها ..

ــ آه .. هكذا اتضحت الأمور ..

ــ آمل أن لا تغير كلامك بعد حين ..

ــ أنا لم أدّع أننى أنا ذلك المخلوق .. لقد كنت فقط ألبى رجاء (عدلى) الذى فهمت بعد ذلك أنه أراد عدم معرفة أحد حتى لا يتم مقاضاتى حال حدوث أذى له .. أما بعد نجاح التجربة ، فقد سمح بنفسه لى أن أخبركما ..

ــ إذن هو يعرفنا !!

ــ ومن يجهل (سامى) .. أول الدفعة .. وصاحبه ؟!

ــ هل عدلت المعدات لتجنب الحروق ؟

ــ لقد قمت بالفعل بتبطين الغرفة الداخلية حول أحواض التكوين بمادة الرصاص ..

ــ مثل المفاعل النووية ؟

ــ لا .. ليس لهذا الحد .. ولكن مثل حجرات الأشعة بالمستشفيات .. والآن وقد تصارحنا تمامًا .. هل بإمكاننا أن نمرح قليلاً ؟

ــ أنا أتوق إلى ذلك ..

قالها (سامى) وعينه تتألق بشدة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

28 ـ المهمة الأولى ..

ـ أرى أنك تفهم الخطة جيدًا الآن ..

ـ لكن أليست هذه سرقة ؟

ـ وهل عهدتنى سارقًا ؟.. إنها مجرد دعابة ودرس لأناس أحبهم كثيرًا ..

ـ لكنى متوتر بشدة ..

ـ طبيعى .. إنك لا تتحول لفأر كل يوم ...

والآن ... لنبدأ الإثارة ..

هبط سامى فى حوض التكوين كى يضغط د/فايز على زر التشغيل بعد قيامه بعمل التعديلات اللازمة وحذف معادلة الحجم بحيث يحصل سامى على صفات الفأر وحجمه أيضًا ..

وبالفعل بعد صرخة مدوية .. خرج من الحوض فأر متوسط الحجم .. قام د/ فايز بتنظيفه بينما يعلق صاحب سامى فى دهشة :

ـ لا أصدق أن هذا سامى ..

ـ إذن اطلب منه شيئًا ..

ـ لو أنك سامى أحضر علبة الثقاب ..

اتجه الفأر فى سرعة لعلبة الثقاب وأحضرها من وسط علب عديدة على الرف .. بل وقام بإشعال أحد العيدان بحركة معقدة وبراعة كبيرة ..

وهنا أخذه د/ فايز داخل صندوق جيد التهوية واستقر أمام محلات الملكة ، فتح الصندوق تاركًا (سامى / الفأر) ليدخل خلف حذاء كلاسيكى لرجل يرتدى معطفًا فاخرًا رغم عدم برودة الجو لهذا الحد .....

وفى خلال دقائق يخرج (سامى / الفأر) مرة أخرى كى يستقبله د/ فايز فى الصندوق مع غنيمته ويسارع بالسيارة إلى فيلا أخته ... منيرة هانم ..

لكنه يحذره أن يتمكن أحد الخدم من ضربه لأن الإصابة ستكون مؤلمة .. صحيح أن أعضاءه الداخلية أقوى بكثير من الفأر العادى وأنه فى جميع الأحوال سيستعيد جسده

Looloo
www.looloolibrary.com

كاملاً سالمًا من خلال معادلته المحفوظة .. لكنه لن ينجو ـ فى حال الضرب ـ من الألم وينجح (الفأر/سامى) فى إثارة فزع الأم كما طلب منه أستاذه ، ثم يعود سالمًا ..

وفى المعمل يجلس د/فايز بعد أن قام بتشغيل جهاز التكوين لإعادة سامى ..

يرص الغنيمة فى علبة من القطيفة .. ثم خنق فأرًا صغيرًا ووضعه جانبها ،

أما صاحب سامى فظهر من الخلف يحمل القضيب المثنى الذى يحب أن يمسك به دائمًا .. ويقترب من د/ فايز صانعًا ظلاً أسود وسائلاً إياه :

ـ هل أنت متأكد من سلامة (سامى) ؟

لكن صرخة (سامى) القوية تغطى على السؤال ..

يخرج بعدها (سامى) إلى أستاذه وقد ارتدى ملابسه سعيدًا منتشيًا للغاية .. ليمسك به صاحبه متلهفًا ..

ـ هل أنت بخير ؟

ـ لم أكن بخير مثل الآن .. فى حياتى كلها ..

ـ ولماذا تصرخ إذن ؟

يجيب د/ فايز ..

ـ خروج الهواء المفاجئ من رئته يجبره لا إراديًا على هذه الصرخة .. تمامًا مثل المولود الجديد ..

ـ أنا منتش بطريقة لم تحدث لى من قبل .. ثمة شعور بالحرية لا يمكن وصفه .. أشعر أنى اندمجت بمخلوقات الكون .. أن سيتوبلازم خلاياى يسير فى عصارة الوردة البيضاء وأن كرات دمى الحمراء تتقافز مع ألوان جناح الفراشة الطليقة ... ومع ذلك فأنا المسيطر القادر على تغيير اللون والسرعة والحركة .. أنا ببساطة أذكى وأقوى المخلوقات .. أعرف الآن فضل جسدى .. تمامًا مثل رجل ظل مشلولاً عشرات السنين ثم عادت له القدرة على الحركة .. تخيل مقدار لذته وهو ذاهب

Looloo
www.looloolibrary.com

لعمل كوب من الشاى ..

آآآه يا خالد ... يجب أن تجرب هذا الإحساس ..

أشعر أنى ولدت من جديد فيبتسم د/ فايز :

ــ إنها صرخة الحياة ..

ــ لكن ألا يمكن أن آخذ صفات مخلوقات أخرى غير الفأر ؟

قالها سامى بلهفة واضحة ..

ــ بالطبع .. وعندى بالفعل معادلات كاملة للكثير من الكائنات .. لكن ميزة تجربة الفأر الكبيرة أننا جربناها .. ونجحت ..

تدخل صاحب (سامى) قائلاً :

ــ أتعنى أن باستطاعتك جعلى .. ذئبًا أو أسدًا مثلاً ؟

فى لهجة تعمد أن يجعلها لا مبالية أجاب د/ فايز :

ــ نسبة الخطأ واحد فى المليون ...

ثم غمز لسامى وتحول وجه الثلاثة إلى لوحة كبيرة احتلت

مساحة الحائط كله ، رسم عليها مئات الحيوانات والطيور والحشرات من ممالك وعائلات المخلوقات المختلفة وتقف على رأسها كلها صورة لرجل يقف فى الوضع الأمامى التشريحى الشهير ..

تمتم صاحب (سامى) :

ــ واحد فى المليون ليست نسبة بسيطة ..

وسمعت الضحكات من داخل المعمل ...

Looloo
www.looloolibrary.com

29 ـ منيرة هانم ..

يداعب الدكتور / فايز أخته منيرة هانم باسمًا :

ـ هل تجلسين الآن مع أبنائك أم تتركينهم للمربية أغلب الوقت ؟

ردت فى لهجة جادة :

ـ أنا لا أتركهم الآن أبدًا ..

فواصل بأسلوب تمثيلى :

ـ لماذا ؟؟.. وما هذا التغيير الجذرى فى العناية بالأبناء ؟.... هل قامت المربية بما يسوء ؟

أطرقت منيرة هانم ناظرة إلى الأرض واستعادت مشهد الفأر الذى رأته فوق ابنها الرضيع .. فهزت رأسها وكأنها تنفض الصورة من رأسها ، وقالت وكأنها تكلم النقوش على السجادة :

ـ أعتقد أن كلامك كان صحيحًا ..

لا يجب أن أترك الأبناء أطول وقت مع المربية .. بالعكس يجب أن يرضعوا منى أنا كل شىء .. وليس الغذاء فحسب ...

وبالمناسبة .. ألا يوجد فى معملك مادة مضادة للفئران ؟؟

.. ولم يستطع د/فايز أن يتمالك نفسه هذه المرة فقال من بين ضحكاته :

ـ تجدين سم الفئران عند أى بائع مبيدات حشرية ..

لكنها قالت فى لهجة جادة وكأنها لا تنوى الابتسام هذا اليوم :

ـ أنا لا أريد الانتظار حتى يدخلوا ثم يأكلوا السم .. أريد مادة تمنعهم من دخول البيت أساسًا ..

فأجابها د/ فايز :

ـ أظن أن لدى ما يفيدك .. لكن الأهم أنك لا تتركين أبناءك الآن ..

أليس كذلك ؟؟

Looloo
www.looloolibrary.com

30 ـ محلات الملكة ..ـ

محلات الملكة تتميز بالفخامة غير العادية ...

وعند مدخل المحل .. وقفت سيارة نصف نقل مغلقة من الخلف هبط منها السائق وأخرج صندوقًا صغيرًا بعد أن راجع البيانات المدونة عليه ..

ثم رفع رأسه ناحية المحلات الفخمة وأخذ نفسًا عميقًا .. كأنه زعيم يستعد لإلقاء خطبة أمام الجماهير..

ثم دفع بيده الباب الدوار ولأنه غير معتاد على هذا النوع فقد كانت الدفعة قوية نوعًا ما فدار الباب حول محوره بسرعة لا تتناسب مع سرعة أقدام الرجل ..

وبالتالى فقد ارتطم به الباب من الخلف فى اصطدامة خفيفة لكنه أسرع داخلاً ثم سأل عن صاحب المكان والذى كان يرمقه بالفعل من خلف النظارة .. فاتجه إليه مباشرة وسأله عن اسمه واضعًا الأوراق أمامه وطالبًا إمضاءه الكريم كى يسلمه طردًا مسجلاً بعلم الوصول ..

أخذ الرجل بقشيشه وانصرف .. فى حين أمر صاحب المكان أحد الموظفين أن يفتح الصندوق الصغير وأن يأخذ حذره ربما كان مؤذيًا ..

ـ وما دام مؤذيًا لماذا أفتحه أنا ؟ إن وظيفتى هى بائع وليست كاشف ألغام .. على حد علمى ..

كان هذا ما فكر فيه البائع الشاب والذى تقدم ـ رغما عنه ـ وهو غير قادر على رفض طلب المدير .. امتدت أصابعه المرتجفة تفتح الصندوق وعينه تلمح المدير الذى وقف عند آخر الفترينة وأبعد رأسه للخلف وكأنه يهم أن يعطس .. بداخل الصندوق يجد جرابًا صغيرًا من القطيفة الزرقاء .. يفرغ محتوياته ليرى ثلاثة خواتم من الماس وسوار كانت قد ضاعت منذ فترة وفقد صاحب المتجر الأمل فى العثور عليها ...

تمتد يد المدير وهو مقبل فى فرحة فيختطف الأشياء من يد الموظف ويتفحصها متأكدًا أنها هى الأصلية فيكتشف معها وريقة صغيرة مكتوب بها :

(.. أول سرقة مسجلة منذ سليمان أغا .. لا تنس الناقة ... ها ها ها ..)

Looloo
www.looloolibrary.com

فيبتسم رغمًا عنه وقد فهم من الفاعل وإن عجز عن معرفة الكيفية ..

لكنه يلاحظ انبعاجًا آخر فى الصندوق .. فيمد يده بنفسه هذه المرة وفى غير حذر يرفع المنديل الحريرى المنبعج كى يجد تحته شيئًا أثار اشمئزازه وجعله يقذف بالصندوق بعيدًا .. كان شيئًا صغيرًا فى حجم الكف .. نعم كلنا يعلم ما هو ..

جثة فأر ...

31 ـ الرجال فى المعاطف البيضاء :_

القــاعدة ..

(بعض الدول لا تقبل أن يسبقها أحد .. فإما أن تكون أنت أيها العبقرى مواطنًا منهم يسخرون لك كل الإمكانيات ويكون إنتاجك كله لصالحهم ..

وإما أن ...

يغتالوك ..)

الرجال فى المعاطف البيضاء يعرضون صورًا للد/فايز ووالده وهما فى قاعة المحاضرات على شاشة كبيرة وأخرى منفردة له أمام بنايته الخاصة بل وثالثة له داخل جراجه الخاص يتحدثون بلغة أجنبية :

ـ تعلمون أن أغلب البحــوث العلمية المنشــورة تعتمد فى الأصل على معلومات سابقة وأن المحتوى العلمى الجديد للبحث يكون معلومة واحدة جديدة وربما لا يسفر عن شىء جديد ..

ـ أما هذا الرجل ..

Looloo
www.looloolibrary.com

مشيرًا إلى صورة د/ فايز ..

ــ فأبحاثه المنشـــورة على مدار الســـنوات الأخيرة تنبئ عن شخص يفهم ما يقول ..

ــ وقام بتجريبه بنفسه .. وأبهرنا بمعلومات جديدة غزيرة تثبت صحتها دائمًا ..

ــ هـــل تعنى أنه قـــام بعمل تجـــارب جينية ؟ كيف ذلك ولا توجد فى بلاده معامل مؤهلة ؟!

ــ إنه ابن البروفيسير / ما جيييييد .. (ضاغطًا على حروف الاسم) الحاصل على مجموعة من الجوائز العلمية العالمية عن أبحاثه المتخصصة وعضوية شرفية فى الجمعيات المتخصصة وعدد من الدكتوراه الفخرية فى أكبـــر الجامعات .. رغم عدم توافر معامل كما ذكرت ..

ــ تفتـــرض إذن أن والده كـــان يمتلك معمـــلاً خاصًا وأنه يستخدمه الآن ..

ــ بل هذا أكيد ...

ــ والقاعدة تعرفونها .. إما أن تكون معنا ..... أو ...

وهنا احتلت صورة د/ فايز الشاشة كلها ..

وأسفلها عبـــارة أشـــبه بإعلان عن لصـــوص الكاوبوى بخط واضح :

... « مطلوب » ..

د. حسام صبرى

(تمت بحمد الله)

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

د/ حسام صبري

سين تربيع

أشعر أنى اندمجت بمخلوقات الكون ..

أن سيتوبلازم خلاياى يسير فى عصارة الوردة البيضاء ،

و أن كرات دمى الحمراء تتقافز مع ألوان جناح الفراشة الطليقة ...

و مع ذلك ، فأنا المسيطر القادر على تغيير اللون و السرعة و الحركة ..

أنا ببساطة أذكى و أقوى المخلوقات ..

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع